وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس المدية





كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في مقياس

الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر 1830

قدّمت لطلبة السنة الأولى ماستر

تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد: د. كريم مقنوش

السنة الجامعية 1444هـ/1445هـ- 2023م/ 2024م

مقدمة:

تتناول المطبوعة مجموعة محاضرات قُدمت لطلبة سنة أولى ماستر تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية في مقياس الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر 1830، اشتملت على مواضيع بداية من الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ثم العلاقات الجزائرية الفرنسية التي تميزت بين الودية والعدائية، فالنوايا الفرنسية في احتلال الجزائر من خلال مخططاتها العسكرية وتليها الخلفيات والدوافع الحقيقية في احتلال الجزائر، ومراحل الغزو الفرنسي للجزائر ثم المواجهة العسكرية بين الجيش الفرنسي والجزائريين، لتنتهي بسقوط العاصمة الجزائرية وما انجر عنها من تداعيات ونتائج وخيمة.

كان هدفنا من وراء هذه المطبوعة توضيح الصورة للطالب من معرفة تاريخ الجزائر بمعالمه الرئيسية، وتمكينه من فهم عميق لخطورة المرحلة التاريخية ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، أن فرنسا الاستعمارية كانت تنوي في احتلال الجزائر منذ قرون خلت، وهي ثمرة جهود متواصلة باستمرار، وهذا ما يدل قطعا بأن حادثة المروحة ما هي إلا مؤامرة حيكت ضد الجزائر.

من هذا المنطلق حاولنا قدر الإمكان تسليط الضوء على أهم المحطات في تاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830، وكان الهدف هو تمكين الطالب من استيعاب مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الجزائر وتزويده بأدوات علمية تمكنه من تحليل المعلومات للوصول إلى استنتاج لبناء قاعدة معرفية محاطة بمصادر تاريخية أساسية.

المحاضرة الأولى

أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م

تمهيد:

تميزت الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر خلال الفترة العثمانية بالاستقرار والازدهار في بعض الأحيان وبالاضطرابات والانحطاط أحيانا أخرى، وتأثرت بشكل كبير بطبيعة وخصائص الحكم العثماني الذي استمر ما يزيد عن ثلاثة قرون من جهة، وبشخصيات الحكام الأتراك من جهة أخرى، حيث.

جامعة يحيى فارس بالمدية
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

وفي هذه المحاضرة سنتناول الفترة التي بدأت فيها الجزائر تأخذ منعرجا خطيرا بنهاية القرن 16، بعد أن كانت تتمتع بمكانة مرموقة وهيبة دولية، مركزين على الفترة الأخيرة من حكم الدايات والممتدة من 1800م إلى غاية 1830م، والتي عرفت فيها الجزائر تدهورا عاما طرأ على مجالات الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

1- الأوضاع السياسية:

يمكن تقسيم الأوضاع السياسية التي مرت بها الجزائر في فترة الحكم العثماني إلى أوضاع داخلية وأخرى خارجية وهي كالتالي:

1-1- الأوضاع السياسية الداخلية:

شهدت الجزائر في فترة حكم الدايات اضطرابات كثيرة كانت مليئة بالثورات والمؤامرات لذلك لم تكن مدة حكمهم تستمر طويلا، إلا أنه يمكن أن نستثني من ذلك الفترة التي حكم فيها الداي محمد بن عثمان باشا في النصف الثاني من القرن 18 (1766- 1791م)، حيث عرفت الجزائر استقرارا نسبيا وذلك بالتعاون مع كل من محمد الكبير بن عثمان باي الغرب وصالح بن مصطفى باي قسنطينة ومصطفى الوزناجي بايا على التيطري في إدارة شؤون البلاد داخليا وخارجيا، فقد كان الداي ينتقي الرجال الأكفاء سياسيا وعسكريا وإداريا، وهذا ما ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكرات:" فقد كان يولي من يستحق الولاية ويعزل من

يستحق العزل"[1]، صالح باي مثلا ذاع صيته في مختلف أنحاء البلاد بحنكته وقدرته في تسيير باليك الشرق، كان عصره عصر النهضة ورخاء وانتعاش وكان يدير إقليمه محافظا ومدافعا على مقدرات الإقليم[2]، كما استطاع أن يقمع الثورات في منطقة القبائل وبجاية وغيرهما وتمرد الإنكشاريين، بالإضافة إلى تغلبه على العجز الذي كانت تعاني منه الميزانية العامة للجزائر باتباع سياسة التقشف والتقليل من النفقات العامة، حتى أنه وباعتراف بعض المؤرخين كان يُحوّل أمواله الخاصة إلى خزينة الدولة[3].

ولا يمكن الحديث عن الأوضاع السياسية الداخلية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي دون التطرق إلى الصراع بين مختلف أجنحة الحكم داخل حكومة الدايات، بين الجيش البري الذي تمثله الانكشارية، وبين طائفة رياس البحر، بحيث تميزت الفترة بعدم الاستقرار السياسي والأمن، فأغلب دايات الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني وصلوا إلى مناصبهم بفضل انقلاب الانكشارية المطالبين بزيادة الأجور، مما أدى إلى كثرة تعاقب هؤلاء الحكام وبالتالي انعدام الاستقرار وهو ما سيؤثر على جميع مناحي الحياة خاصة الاقتصادية منها، وحتى وصلت بهم الحال أن المناصب إقليميا أصبحت هي الأخرى تباع وتشترى دون مراعاة الكفاءة، ومن يريد منصب الباي فما عليه إلا التوجه لأقارب الباشا ويمدهم بالأموال[4].

تواصلت الاضطرابات والتناحر على الحكم والاستبداد والاغتيالات ونشوب الفتن الأهلية والتمرد والعصيان من طرف الأهالي، بسبب السياسة التي انتهجها الدايات بإرهاق

---

[1]– **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق وتقديم: أحمد توفيق المدني، طبعة خاصة، المجلد السابع، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 24.

[2]– أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766– 1791**، ط.خ، المجلد 7، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 159.

[3]– **نفس المصدر**، ص 24.

[4]– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط.خ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 103.

الأهالي بالضرائب والإتاوات، علما أن التمرد والعصيان كان يواجهه الدايات بالقوة وسفك الدماء، يذكر أن السياسة الجبائية المرتفعة طبقت عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر بسبب فقدانها السيطرة على البحر المتوسط[5] .

ومن بين التمردات والثورات على الحكم التركي تلك التي قام بها سكان العاصمة والقبائل المجاورة عام 1692م بعد إقدامهم على إشعال النيران في مرافق الميناء وبعض السفن الراسية به، وحركة التمرد الواسعة التي قام بها كراغلة تلمسان في عهد الداي إبراهيم باشا كوجوك، حيث سيطروا على المدينة وطردوا منها الحامية التركية، كما حاولوا الاتصال بكراغلة مدينة الجزائر للانضمام إلى حركتهم، لكن الداي تفطن للأمر وقضى على تمردهم بالقوة، بالإضافة إلى تمردات أخرى عرفتها مختلف مناطق الجزائر مثل (القبائل الكبرى عام 1767م، سكان البليدة– الحضنة– واحات الجنوب– الاوراس).

ومع نهاية القرن 18م ونهاية القرن 19م شهدت الجزائر حركات عصيان وتمرد نتيجة الإجراءات الجبائية المتعسفة التي فرضتها الإدارة العثمانية، كانت أهمها انتفاضة ابن الأحرش وهو محمد بن عبد الله الشريف بن الأحرش، الذي قاد الانتفاضة في الفترة ما بين 10 جوان إلى 10 جويلية 1804م، حيث أعلن ابن الأحرش الثورة بدفع القبائل لمناصرته للقضاء على سلطة بايلك الشرق، فجمع ما لا يقل عن 100 ألف رجل وأمر بمهاجمة الحاميات العثمانية، خضعت له منطقتي القل وجيجل فانسحبت القوات العثمانية من منطقة عنابة عندما علمت بقدوم ابن الأحرش، وفي غياب الباي عثمان الذي توجه لجمع الضرائب من المناطق الغربية للبايلك، أمر ابن الأحرش بالتوجه نحو قسنطينة للاستيلاء عليها لكن المحاولة باءت بالفشل نتيجة الاضطرابات فتراجع، وبعد سلسلة من الملاحقات تمكن الجيش

[5]– أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800– 1830**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص ص 28، 29.

الانكشاري من إلحاق الهزيمة بطلب من الداي مصطفى باشا ومن وضع حد نهائي لثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري[6].

يذكر بعض المؤرخين أن الثورة العارمة لابن الأحرش بالشرق الجزائري جاءت بتحريض من انجلترا ضد الحكم التركي، وذلك بعد الامتيازات الكبيرة التي قدمها الداي لفرنسا في الجزائر خاصة في ميدان استغلال المرجان بالقالة، وتجدر الإشارة أن بن الأحرش وجد القبول والترحاب من باي تونس حمودة باشا لما رجع من مصر متوجها إلى الجزائر، وأيضا اتصل به الإنجليز ونُقل على ظهر سفينة انجليزية من عنابة متجها إلى قسنطينة للتخطيط لقلب الأوضاع وإثارة الفتن[7].

لم يجد ابن الأحرش السبيل سوى الانتقال إلى بايلك الغرب والالتحاق بانتفاضة درقاوة التي أعلنت الثورة بزعامة ابن الشريف عبد القادر الدرقاوي على السلطة العثمانية، وتعتبر هذه الانتفاضة من أكبر الثورات ضد الحكم العثماني بالجزائر، أعلن الشريف الدرقاوي الثورة في ولاية مصطفى باي الأول، هزم جيش الحامية العسكرية العثمانية في معركة فرطاسة قرب مدينة غليزان في سنة 1805م، كما سيطر على الريف الوهراني واستولى على مدينتي معسكر ومازونة وفرض الحصار على مدن تلمسان ووهران ومستغانم، واستمرت هذه الثورة إلى غاية سنة 1818م، بعد انهزامه ولجوءه إلى المغرب الأقصى[8].

وتشير بعض الدراسات أن سبب فشل ثورة بن الأحرش بالشرق الجزائري هو أن الطريقة الدرقاوية لم يكن لها أنصار بالشرق، وأن جل القبائل تدين بالولاء لزعمائها الموالين لبايات الجزائر من أجل الظفر بالامتيازات، بالإضافة إلى أن الطريقة الرحمانية كانت متخوفة من حركة درقاوة وترى فيها المنافس الخطير لنفوذها[9].

---

[6]– ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 275، 282.

[7]– ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 341 – 342.

[8]– ناصر الدين سعيدوني، **عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر**، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 113.

[9]– ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، **مرجع سابق**، ص 345.

ومن الطرق التي ثارت هي الأخرى ضد الحكم الطريقة التيجانية بالجنوب الصحراوي بعين ماضي بمدينة الأغواط، فهي طريقة تنتسب إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني (1737- 1815م)، ويعود السبب في ذلك تعنت السلطة العثمانية بفرض الضرائب على سكان عين ماضي مما أدى بتوتر العلاقات وإعلان الطريقة التيجانية الخروج عن طاعة الأتراك، فظهرت دعوة التيجانية إلى التمرد على السلطة العثمانية في الجزائر، بدأ الأتراك في ملاحقة محمد الكبير زعيم الطريقة التيجانية بعدما كثُر مريديه في الجزائر وفاس وتونس، فجهّز باي وهران جيشاً هزم به التيجاني في نواحي سهل غريس بمعسكر أواخر سنة 1826م، وتمت مطاردتهم حتى بعين ماضي واضطروا لإعلان الخضوع للسلطة العثمانية، وفي السنة الموالية قُتل التيجاني وأُرسل رأسه إلى الجزائر، فترتب عن هذه الانتفاضة قحط وغلاء في الأسعار[10].

كما ظهرت حركات تمرد أخرى انتشرت في عدة مناطق من الجزائر لتشمل أوساط القبائل الجبلية والجهات الشرقية والوسطى من البلاد، أدت إلى زعزعة الاستقرار وساهمت في إضعاف أركان الدولة، وهذا ما أدى بالجزائر أن تصبح لقمة سائغة للدول الخارجية.

1-2- الأوضاع السياسية الخارجية:

عرفت الجزائر أوضاعا سياسية خارجية على كل المستويات المغاربية والأوروبية والأمريكية، تجسدت في العلاقات السياسية والتجارية مع الدول الأوروبية والأمريكية للحيلولة دون عدم التحالف بينها من أجل الانقضاض عليها.

1-2-1- على المستوى المغاربي:

كانت العلاقات الجزائرية مع دول المغرب العربي متوترة في أغلب الفترات فقلّما كانت العلاقات ودية أو حسنة، الجزائر كانت تعتبر تونس إقليما تابعا لها خاصة بعد تحريرها من الاحتلال الإسباني سنة 1574م والذي يعود فيه الفضل للجزائر، وبدأ دايات الجزائر

---

[10]- مشطري عبد الحفيظ، **الجزائر العثمانية 1800- 1830 دراسة في تطوراتها السياسية وعلاقتها الخارجية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار، جامعة قالمة، 2014- 2015، ص ص 94، 97.

يتدخلون في الشؤون الداخلية لتونس، وبالمقابل كانت تونس ترفض ذلك التدخل مما أثّر سلبًا في العلاقات بين البلدين وأصبحت الأجواء مكهربة، كما كانت لتونس أطماع في إقليم قسنطينة باعتبارها الوارث الشرعي منذ العهد الحفصي، وظل بايات تونس في فترة الحكم الحسيني (1705- 1830م) يطمحون للتخلص كلية من التبعية لدايات الجزائر وبالتالي ظل الطرفين في صراع دائم[11].

ومن الناحية الغربية كان للمغرب الأقصى أطماع قديمة في تلمسان، كان ينظر للجزائر العدو اللدود وخطر يهدده ويجب إبعاده عن الساحة السياسية حتى وان اقتضى الأمر التحالف مع الغرب المسيحي، وقد ظهرت مؤامرات كثيرة بين البلدان المغاربية ومن أبرزها التحالف التونسي والمغربي والطرابلسي من أجل القضاء على الجزائر وكان ذلك عام 1702م، فزحفت تونس وطرابلس شرقا إلى قسنطينة، وزحفت المغرب على تلمسان، وهكذا ظلت الحوادث مستمرة إلى أن بدأت التحالفات الأوروبية تتهيأ لاقتسام ممتلكات ما يسمى بالرجل المريض[12].

1-2-2- على المستوى الأوروبي:

كانت للجزائر علاقات سياسية وتجارية مع عدة دول أوروبية، وكان دافع الجزائر في ذلك الحيلولة دون قيام أي تحالف أوروبي ضدها زيادة على فرض وجودها في البحر الأبيض المتوسط، أما الدول الأوروبية فقد أُجبرت على التقرب من الجزائر وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، لحفظ مصالحها التجارية من القرصنة بتقديم الترضيات المالية لها، وقد علّق دوغرامون De Grammont على ذلك بقوله:" إن كل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية من قناصلها كانت تسير في اتجاه شراء السلم بثمن باهض من الجزائر"[13]، علما أن هذه العلاقات لم تخل من نزاعات وحروب بحرية بسبب الخلاف حول

---

[11]- فريدة بوقرة، **العلاقات الجزائرية التونسية في عهد الأسرة الحسينية 1705- 1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2018- 2019، ص 30، 31.

[12]- رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 394.

[13]- **دراسات تاريخية مهداة إلى المجاهد المؤرخ جمال قنان**، تنسيق وتقديم : جمال قندل، ط1، بن حمدة للطباعة والنشر، الشلف، 2019، ص 242.

السيادة على البحر الأبيض المتوسط، وفيما يلي نفصل في علاقة الجزائر مع دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية:

1-2-3- مع بريطانيا :

كان للجزائر علاقات ودية مع بريطانيا في غالب الأحيان، فاستفادت الجزائر من التنافس الحاد بين بريطانيا وفرنسا، تخللت تلك العلاقات معاهدات سلام بين الدولتين، نصت على تنشيط التجارة بين البلدين.كما أن بريطانيا كانت تبذل كل ما في وسعها لتتوتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا، إن عقد معاهدة بين الجزائر وفرنسا كان يخلق مشكلا لإنجلترا، وسعيا منها لإبعاد الخصم، طلبت من الداي بعدما أرسلت له باخرتين محملتين بالهدايا أن يجعلها محل فرنسا، خاصة فيما يتعلق باستثمار المؤسسات الفرنسية، وقد استجابت لها الجزائر في سنة 1806م، حيث سحبت الامتيازات من فرنسا ومنحتها إياها إلى غاية 1816م، وهو التاريخ الذي شنت فيه بريطانيا حملتها على الجزائر بقيادة اللورد اكسموث[14].

لكن هذا لم يمنع بريطانيا من شن حملات عسكرية على الجزائر لإضعافها وإجبارها على التخلي عن سيادتها البحرية، ومن بين هذه الحملات نذكر: حملتها على مدينة الجزائر عامي 1660، و1670م.

1-2-4- مع اسبانيا:

تميزت العلاقات الجزائرية الإسبانية بالتوتر في معظم فتراتها بسبب احتلال اسبانيا للمرسى الكبير سنة 1505م ووهران سنة 1509م ومدن أخرى، انجرت عنها حروب ومعارك بين الدولتين جعل منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تعرف عدم الأمن والاستقرار، واستمرت العلاقات غير السلمية بين البلدين، وقد شهد القرن الثامن عشر تجدد الحملات الاسبانية المتكررة على المدن والموانئ الجزائرية، مثلما وقع في حملة أوريللي Orelly سنة 1775م وحملتي أونطونيو بارثيليو Antonio Barcelo سنتي 1783

[14]- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص ص 250، 251.

و1784م[15] لكنها فشلت كلها، وبعد فشل المساعي الدبلوماسية بدأ الملك كارلوس الثالث Carlos III يبحث عن السلم فاقتنع بضرورة إبرام معاهدة سلم سنة 1786م لربط علاقات تجارية مع الجزائر ودخلوا في مفاوضات دامت سنة كاملة[16].

وأما المعاهدة الثانية عُقدت سنة 1791م بعد تحرير وهران من الاستعمار الإسباني بعد محاصرته من طرف الجزائريين، فتحولت إذن العلاقات بين الطرفين من حالة توتر وحرب إلى حالة سلم زادت على إثرها من وتيرة العلاقات التجارية، فأقامت العديد من الشركات الاسبانية مراكز لها في الجزائر.

1-2-5- مع البرتغال:

لم تكن العلاقة مع البرتغال قوية ولهذا اضطرت إلى دفع الجزية سنويا إلى الجزائر، تبعتها عقد معاهدة صداقة وسلم سنة 1810م، لكن كان هناك 541 أسيرا برتغاليا في الجزائر، مما دفع ببريطانيا التوسط لدى السلطة الجزائرية وتم تحرير هؤلاء الأسرى بعد دفع الفدية والمقدرة بـ 850 ألف دورو جزائري، وتلتها معاهدات سلم وصداقة أبرمت في جوان 1813م[17].

1-2-6- مع هولندا:

عرفت العلاقات الجزائرية الهولندية فترات سلم وصداقة ارتبطت بمعاهدات واتفاقيات نذكر منها على سبيل المثال خلال سنوات 1622م- 1662م- 1677م- 1680م- 1713م-1726م- 1757م وغيرها، تتعلق هذه المعاهدات بحرية الملاحة والمعاملات التجارية بين البلدين، وكذا حماية الممتلكات والأشخاص والسفن[18]، فتحوّلت إلى علاقات عدوانية بحيث عقدت معاهدة تحالف دفاعي بينها وبين إسبانيا ضد إيالات ومملكات الجزائر

---

[15]- أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792**، المجلد 5، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 451، 479.

[16]- علي تابليت، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1619- 1830**، ج2، منشورات ثالة، الجزائر، 1913، ص ص 201، 205.

[17]- **نفسه**، ص 179- 192.

[18]- علي تابليت، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1619- 1830**، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 1913، ص ص 249- 260.

وتونس وطرابلس في 10 أوت 1816 لإنهاء عملية القرصنة[19]، رغم ذلك شنت هولندا عدة غارات على الجزائر أهمها سنة 1816م، تلتها معاهدة سلم فرضت على هولندا إتاوة[20].

1-2-7- مع الدول الاسكندنافية:

عرفت العلاقات بين الجزائر والدول الاسكندنافية (الدنمارك-السويد- النرويج) كبقية الدول الأوروبية فترات سلم وأخرى فترات حرب محاولة فرض سيطرتها على الجزائر، وتعتبر هذه الدول دول بحرية ثانوية في القرن 18م على عكس إنجلترا وفرنسا، أصبحت مملكة الدانمارك- النرويج سنة 1764م خامس دولة غربية ترتبط بمعاهدة سلام مع الجزائر، بعد كل من فرنسا وهولندا وإنجلترا والسويد، وثالث دولة تدفع إتاوات لها بعد هولندا والسويد، لكن ذلك لم يدم طويلا ليدخل الطرفان بعد ذلك في نزاع مسلح مثّل أول حرب رسمية بين الجزائر الدولة مملكة الدانمارك سنة 1770م، انتصر فيها الجزائريون مما أدى بالدانمارك إقرار الهزيمة وتقديم الهدايا للإيالة الجزائرية سنة 1772م وعقد معاهدة سلم بين الطرفين في 16 ماي 1772م وتم تعيين قنصلا جديدا في الجزائر[21].

1-2-5- مع الولايات المتحدة الأمريكية:

كانت الجزائر كعادتها السبّاقة في الاعتراف بالولايات المتحدة الأمريكية كدولة مستقلة عن بريطانيا عام 1776م، كما عبّر جورج واشنطن George Washington في فيفري 1792م عن رغبته في إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الجزائر، وتم التوقيع على اتفاقية الصداقة والسلام في 5 سبتمبر 1795م احتوت على ما يلي:

- يصرّح للسفن الأمريكية بممارسة التجارة مع الجزائر مقابل دفع الرسوم المعتادة، وتعفى الأدوات البحرية والعسكرية من هذه الرسوم، إن النزاع بين الجزائريين والأمريكيين من

---

[19]- علي تابليت، **نفس المرجع**، ص 261.

[20]- مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 114، 119.

[21]- عبد الهادي رجاني سالمي، حرب 1769- 1772م بين الجزائر ومملكة الدانمارك- النرويج من خلال مصدرين: نيلس موص وابن رقية التلمساني، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، المجلد 3، العدد 2، جويلية 2021، ص ص 51- 65.

اختصاص الداي، أما بين الأمريكيين فينظُر فيه القنصل الأمريكي وله الحرية المطلقة في إقامة شعائره الدينية.

- تحظى السفن الحربية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية باستقبال في مدينة الجزائر مع الترحيب.
- في حالة حصول نزاع، لا يتم الإعلان عن الحرب حتى تستنفذ كل وسائل المصالحة[22].

كما أبرمت الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث معاهدات صلح وصداقة، وهي معاهدة 5 سبتمبر 1795م، ومعاهدة ثانية في جوان 1805م، والمعاهدة الثالثة في ديسمبر 1805م، منحتها من خلالها مساعدات كثيرة، لكن هذا الاعتراف وهذه المساعدات لم يمنع الجزائر من أن تفرض على أمريكا الإتاوات التي كانت تفرض على كل الدول الأخرى المارة على البحر المتوسط، ويبدو أن الكونغرس الأمريكي الذي اعتبر أن الجزائر بعيدة وأن علاقته بالبحر الأبيض المتوسط قليلة، فقرر أن لا يقدم الإتاوة، وعليه أعلنت الجزائر على الولايات المتحدة الأمريكية حربا وأرسلت أسطولها إلى المحيط الأطلسي فأسر مجموعة من البواخر الأمريكية وقادها إلى السواحل الجزائرية، مما جعل الكونغرس الأمريكي يرسل وفدا يفاوض ويلتمس المساعدة لدفع الإتاوة، وتم التوقيع على معاهدة سلام بين الدولتين عام 1796م، وبمقتضاها تدفع الولايات المتحدة الأمريكية 721 ألف دولار اسباني، مقابل إطلاق سراح البواخر المحتجزة، وكذلك تعترف بدفع مبلغ 22 ألف دولار اسباني سنويا للجزائر[23].

وبعد أن وقّعت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة السلام مع بريطانيا ظهرت أمريكا بقوة بحرية أرسلت أسطولها إلى مدينة الجزائر سنة 1815م، ومنذ ذلك أصبحت العلاقات الجزائرية الأمريكية عادية وبقيت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

---

[22]- محمود باشا محمد، **ذريعة المروحة 1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر**، تر: عزيز نعمان، دار الأمل، الجزائر، 2010، ص 37.

[23]- علي تابليت، **العلاقات الجزائرية الامريكية 1776- 1830**، ج2، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013، ص ص 103- 108.

المحاضرة الثانية

أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي (تابع)

2- الأوضاع العسكرية:

واجهت الجزائر تهديدات خارجية كبيرة خاصة من جانب اسبانيا والدول الايطالية وفرسان مالطة، مما جعلها تهتم بأسطولها الحربي تدفع به الغارات المسيحية عن مدنها وسواحلها، وتحمي به التجارة الإسلامية والمهاجرين الأندلسيين، وحجاج بيت الله الحرام من اعتداءات القراصنة الأوروبيين، وتدعم به الدولة العثمانية في حروبها، وتغنم من خصومها، ويجدر بالذكر أن الدوافع الروحية التي كانت وراء الجهاد البحري للأسطول الجزائري ضعفت تدريجيا، ليصبح الربح هو مبدأه الأساسي.

وقد كانت النواة الأولى لأسطول الجزائر تلك السفن التي أتى بها الأخويين خير الدين وعروج لإنجاد إخوانهم المسلمين في بجاية والجزائر، وعددها أربعة عشر وحدة بحرية، تمركز الأسطول في مدينة الجزائر التي حصن ميناؤها ودعم بالمدافع، ليصبح قاعدة بحرية هامة في بناء المراكب الجديدة وإصلاح القديمة والمعطوبة تجهيزها، كما أصبحت موانئ المدن الساحلية الأخرى كشرشال ودلس وبجاية وجيجل وعنابة وتنس قواعد أخرى للأسطول، وكان الخشب يجلب من غابات شرشال وجرجرة وبجاية وجيجل والقل، كما أنشئت مصانع لصناعة المدافع والبارود والذخيرة وقطع الغيار، وبلغ الأسطول الجزائر أوّج قوته في منتصف القرن 17م مكّنته من صد وإفشال جل الحملات العسكرية على الجزائر كالحملات الاسبانية والفرنسية والهولندية وغيرها، كما كان الأسطول درعا واقيا لسواحل شمال إفريقيا ضد القرصنة والعدوان الأوروبي، وقد تعاظم دور الأسطول الجزائري في حماية التجارة الدولية من القراصنة المتربصين عبر البحر[24].

لكن دور البحرية ونشاط الأسطول الجزائري بدأ يتضاءل مع مطلع القرن 19م إلى أن اضمحل نهائيا سنة 1830م، و يعود انهيار الأسطول الجزائري إلى العوامل التالية:

---

[24]- زكية زهرة، **مرجع السابق**، ص ص 43، 44.

- اتفاق الدول الأوروبية على ضرورة التصدي للجزائر وتقليص دورها.
- تقييد الجزائر بمعاهدات شراء سلامة تجارة الدول الأوروبية مقابل بعض الهدايا والغرامات، مما قل من نشاطات الأسطول الجزائري فتقلص عدد قطعه من حوالي 100 قطعة عام 1588 إلى 14 قطعة رئيسية سنة 1825.
- الغارات المسيحية المتكررة على مدينة الجزائر، ومن أخطرها هجوم الأسطول الانجليزي الهولندي المؤلف من 39 بارجة بقيادة اللورد اكسموث Lord Exmouth في 27 أوت 1816م، الذي تمكن من تخريب قسم من أسوار مدينة الجزائر ومبانيها وميناءها، وتدمير معظم أسطولها.
- اشتراكه في حروب الدولة العثمانية، وآخرها معركة نافرين 1827م أثناء حرب اليونان التي دمر فيها ما تبقى من الأسطول.
- تخلف صناعة السفن الجزائرية ومهارة الأسطول قياسا إلى التقدم الصناعي الهام الذي أحرزته مثيلاتها في دول الغرب، والمهارة الفنية التي اكتسبتها الأساطيل الأوروبية[25].

وعلى صعيد آخر ارتكبت الجزائر خطأ فادحا يتمثل في تخليها عن الصناعة البحرية، نظرا لانشغال التقنيين والمهندسين والفنيين بالحرب، وكذلك بسبب تنازلها عن غابات الكرستا الموجودة ببجاية لفائدة التجار اليهود وفي مقدمتهم بكري وبوشناق، حيث أقدما على بيع أخشاب الغابات إلى انجلترا التي اهتمت بصناعتها البحرية وكرست كل جهودها لتطويرها، وعليه فالجزائر توقفت عن الصناعة البحرية وبريطانيا ضاعفت المجهود.

وإذا أردنا البحث والتعمق أكثر عن بداية الاختلال الذي شهدته المؤسسة العسكرية في سياسة التجنيد، يذكر حمدان خوجة في المرآة عن عملية التجنيد كان من أسباب انحطاط الإيالة الجزائرية ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر، ارتكاب الجنود للمخالفات ضد الأهالي باستعمالهم السلطة في جمع الضرائب بسبب عدم تقاضيهم للرواتب نتيجة شح الموارد المالية

[25]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **مرجع سابق**، ص ص 150، 151.

للخزينة، ففي السابق كان المندوبون يرسلون إلى إزمير بالدولة العثمانية ينتقون ويجمعون الجنود الأكفاء والنزهاء، حتى أصبح الجنود منبع الفوضى والضعف[26].

3- الأوضاع الاقتصادية:

إن عدم الأمن والاستقرار السياسي وانتشار حركات التمرد والاضطرابات كان له انعكاسات سلبية على المجال الاقتصادي، حيث أهملت الفلاحة بتوقف الحرث والزرع، وحدثت مجاعات من جراء كثرة الفتن والأهوال واهتزاز المجتمع، كما أغلقت الأسواق خوفا من قطاّع الطرق، إضافة إلى ظاهرة الجفاف التي استمرت سنوات خاصة بشرق البلاد و ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة.

ويجدر بالذكر أن الاهتمام الكبير للإيالة الجزائرية بالجوانب العسكرية والسياسية انعكس سلبا على الجانب الاقتصادي، حيث لم يكن للعثمانيين سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شأنها أن تنهض بالبلاد والعباد، ويتجلى ذلك من خلال عدم اهتمام الحكام الأتراك بتطوير البنية التحتية للإيالة الجزائر، فمثلا بالرغم من اهتمام العثمانيين بالبحر لا نجد لهم أثرا في إنشاء الموانئ الصالحة للتجارة، حيث كان الاهتمام بالموانئ الجزائرية بقصد إيجاد مرسى آمن لسفن القرصنة وليس بقصد التجارة، كما لم تتدخل الدولة لتحسين وسائل الزراعة، ولم تساهم في الوقاية من الأضرار والكوارث الطبيعية، أو الآفات الزراعية التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة[27].

وإذا نظرنا إلى الضعف الذي تعرضت له الجزائر في أواخر القرن الثامن العشر وبداية القرن التاسع عشر يرجع إلى عدة عوامل تحكمت في مصير البلاد أثرت في التجارة الداخلية والخارجية، بحيث لم يعُد للحكام قدرة في مراقبة المبادلات التجارية لعدة أسباب- لا يتسع المجال لذكرها- بالإضافة نفوذ اليهود المتزايد سمحت لهم مكانتهم السيطرة على جانب كبير إن لم نقل على كل النشاط التجاري وسنرى ذلك لاحقا.

---

[26]- حمدان خوجة، المرآة، **مصدر سابق**، ص111.

[27]- أرزقي شويتام وآخرون، **المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، ط.خ، م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الآمال للطباعة والنشر، الجزائر، 2016، ص 91، 92.

ولتعويض العجز المالي لخزينة الدولة نتيجة شح وقلة المداخيل المالية الخارجية، أطلق الدايات العنان لجُبَاة الضرائب دون مراعاة لقوانين الدولة ولأية سياسة واضحة، مما أدى إلى إرهاق كاهل الجزائريين فكان انعكاسا سلبيا على الوضع الاجتماعي.

4- الأوضاع الاجتماعية:

لم تكن الأوضاع على الصعيد الاجتماعي أحسن من غيرها، حيث عرفت الجزائر انتشار الأوبئة في فترات متباينة، ظهر وباء بمدينة الجزائر بين 1784- 1788م واعتبر الأشرس توفي بسببه أكثر من 16 ألف نسمة، ثم حلّ وباء آخر في الفترة ما بين 1793- 1804م تسبب في هلاك 12 ألف نسمة[28]، وآخر وباء عرفته الجزائر هو مرض الطاعون والتي بلغ فيها درجة خطيرة وكان ذلك سنة 1817م الذي استمر إلى غاية 1822م ويعد أكبر كارثة عرفتها الجزائر عمّت كل المناطق حتى وصلت إلى مشارف الصحراء، وقضى على حوالي سدس سكان الإيالة وقد ذكر أحمد الشريف الزهار وحمدان خوجة أن الوباء بقي بالجزائر سبع سنين[29]، ويضيف أيضا أحمد الشريف الزهار بأن سبب الوباء قادم من المشرق قال في ذلك:" عندما بلغت المراكب المهداة من استانبول جاء معها الوباء إلى الجزائر واشتعلت ناره سنة 1817"[30].

وأما المجاعة التي اعتبرها المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل بالأخطبوط تسبقها الكوارث الطبيعية الأخرى كالجفاف وزحف الجراد، تفتح باب الأوبئة وارتفاع الأسعار زيادة على المجاعات التي ضربت الجزائر في سنوات متعددة من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(1778، 1785، 1793، 1804، 1806)، ومن بين المجاعات التي أصابت بشكل كبير المجتمع التي حدثت ما بين 1815 و1819م عانت بالدرجة الأولى الأرياف أدى إلى

---

[28]- ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1791- 1830**، .ط.خ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص328.

[29]- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص 151، وأيضا، حمدان خوجة، المرآة، **مصدر سابق**، ص 98.

[30]- **نفسه**، ص 127.

نقص كبير في المعيشة، مما أدى بالداي استيراد القمح من الخارج لتغطية حاجيات مدينة الجزائر[31].

بالإضافة إلى الزلازل التي ضربت كثيرا من المدن الجزائرية (مدينة الجزائر والمدية عام 1632م، زلزال الجزائر العاصمة 1665م، شرشال، بجاية والجزائر العاصمة عام 1716م، ثم زلازل 1723 ،1724 ،1755 و1760م التي خرّبت البليدة، وزلزال وهران عام 1790م وكذا زلزال مدينة الجزائر سنة 1818م وزلزال البليدة ومتيجة سنة 1825م تسببت في الكثير من الخسائر البشرية والمادية هلاك الكثير من الأرواح والممتلكات[32].

دور فئة اليهود في الجزائر:

بالرغم من وجود عدة طوائف أجنبية المسيحية منها اليهودية في الجزائر، إلا أن الطائفة النشيطة التي ارتفع شأنها وتعاظم دورها في أواخر الفترة العثمانية هي طائفة اليهود، ازداد نفوذها المالي والسياسي إلى درجة أن كل عمليات الاحتكار التي مارسها الدايات وموظفو الجهاز الإداري عادت فوائدها إلى كبار تجار اليهود، لأنهم كانوا يتعاملون مع الداي وقادة الجيش (رياس البحر) ويقومون بشراء وبيع البضائع أو الغنائم التي يحصل عليها الرياس، كما اشتهر اليهود بعمليات السمسرة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية إلى درجة أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود[33].

وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي تجلت في الجزائر نفوذ شخصين يهوديين وهما نفطالي بوشناق وميشال بكري، استقرت عائلة بوشناق بالجزائر سنة 1723م بينما وصلت عائلة بكري في سنة 1770م، في البداية كان لبكري دكان صغير يبيع بالتجزئة الخردوات ثم ارتبط بمصالح الداي حسان باشا والداي مصطفى باشا ما سمح له بالثراء، وأما بوشناق كوّن ثروته في ظروف خاصة وبفضل الخدمات التي قدّمها لمصطفى بن أوزناجي باي

---

[31]– ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر** ...، مرجع سابق، ص 327.

[32]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، **مرجع سابق**، ص ص 84، 85، 86.

[33]– عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 75.

تيطري (1775م- 1795م)، حتى أصبح بوشناق أمين سر ومستشار باي قسنطينة لبن اوزناجي فيما بعد، وفي سنة 1792م أسّس يعقوب بن ميشال بكري شركة مع أشقائه باسم "سلومون كوهين بكري وإخوته"، ثم التحق بهم بوشناق سنة 1797م فتحولت إلى " الإخوة بكري وبوشناق"، فأصبحت العائلتان تمثلان قوة تجارية ومالية امتد نشاطها إلى المجال السياسي، أصبحوا من ممولي الداي فاحتكروا تجارة القمح[34]، وهذا ما أكده القنصل الفرنسي دوبوا تانفيل عن اليهوديين بأنهما يمثلان الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع، وتتمتع بثقة حكام الجزائر فإنهم شركاء في كل مكان، وامتدت علاقاتهم إلى باريس، مرسيليا، عنابة، جنوة، ليفورن، مدريد، وكل الموانئ الإسبانية، ولندن، ولشبونة، وهامبورغ، وفيلاديلفيا، واستولوا على كل تجارة المغرب[35].

بالإضافة أنهما كانا يقومان لوحدهما بدور البنوك في الجزائر، ويحتكران الأسواق التجارية الجزائرية وخاصة في ميدان تصدير الحبوب فامتد نفوذهما إلى درجة أنهما حظيو بثقة المسؤولين الأتراك لتقديم الدعم وإقامة علاقات مع الخارج، وأصبحت لهما قوة تأثير في القرارات السياسية والاقتصادية، لقد استخدم اليهود المساعدات المالية وتقديم الهدايا الثمينة والتجسس في الداخل والخارج وسيلة لنيل ثقة الحكام، يقول في ذلك محمد العربي الزبيري:" أحرزوا من خلالها على سلطة واسعة لم يسبق لأحد قبلهم كم الأقليات أن حصل عليها في هذه البلاد، وأن يسخروها لخدمة مصالحهم غير مبالين بما يمكن أن ينجر على ذلك من خسائر للجزائر"[36]، ولهذا كانوا سببا مباشرا في احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م.

تمكنت شركة بكري وبوشناق من احتكار تجارة الحبوب بالشرق الجزائري وهذا ما أكده حمدان خوجة في المرآة قائلا:" وفي تلك الفترة سمعت أحد البولكباشيين- قائد الحامية التركية بعنابة- يقول أن كمية القمح التي صدرت إلى أوروبا في تلك السنة كانت تقدر بستة

---

[34]- عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، **مرجع سابق**، ص ص 34، 35.

[35]- كمال بن صحراوي، **دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية**، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 62.

[36]- محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص 286.

وتسعين شحنة (مركبا)، وفي نفس السنة وقع تصدير مائتين وأربعين ألف صاع من القمح من ميناء وهران"[37]، وهذا ما نتج عنه ارتفاع أسعار الحبوب وانتشار المجاعات التي كانت تعاني منها الجزائر نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، ففي سنة 1800م حدثت مجاعة كبيرة بالجزائر بسبب جشع تجار اليهود، جاء في المرآة:" وفي سنة 1800م أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، ووقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي بتموين البلاد، بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح، وقد بيع ذلك القمح بثمانية وعشرين فرنكا للصاع الواحد، وعلى الرغم من ذلك كان لا بد من تنصيب الجنود عند باب كل مخزن"[38]، وهكذا كان هدف التجار اليهود من هذه الصفقات هو جمع الأموال الطائلة، يقول في ذلك العربي الزبيري:" لم تكن تهدف (شركة بكري وبوجناح) إلا لجمع الأموال، ولم تكن تعتبر نفسها جزائرية إلا بالقدر الذي يسمح لها بحماية مصالحها، أما رؤوس أموالها فإنها تستثمرها في مدن ليفورنيا ومارسيليا وباريس"[39].

استطاع بوشناق فرض نفسه لدى الداي مصطفى حتى أصبح رئيسا للجالية اليهودية في الجزائر في فيفري 1800م ومنذ ذلك الحين أصبح الحاكم الفعلي في الجزائر، إلى درجة أنه تدخل لحل الأزمة بين الجزائر وإنجلترا، وقد بلغ به الحد أن تحدّث باسم الجزائر في المفاوضات مع البرتغال سنة 1803م. وفي تقرير وجهّه القنصل الفرنسي جون بون سانت أندري إلى حكومته مندهش بما آل إليه اليهود من نفوذ في التجارة في البحر الأبيض المتوسط قائلا:" هل أعتقد في يوم ما أن التجارة في البحر المتوسط تسقط بين أيدي يهود الجزائر؟ هل يوجد سوق هام لا يجدون فيه أعوان بكري وبوشناق؟ إن قرطاجة ومارسيليا وجنوى ونابولي والإسكندرية وتونس وأماكن أخرى، كلها أماكن يتمتعون بنفوذ، ...تاجر أوروبي يقلقهم يبعدونه، أن سبب تراجع تأثيرنا في المنطقة مرتبط بتوسع نفوذ اليهود.."[40].

---

[37]– حمدان خوجة، المرآة، **مصدر سابق**، ص160.

[38]– حمدان خوجة، **نفس المصدر**، ص 160.

[39]– محمد العربي الزبيري، **مرجع سابق**، ص 210.

[40]– عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، **مرجع سابق**، ص 36.

وفي رسالة كتبها بكري وبوشناق إلى دبوا تونفيل الذي كان مقيما في مدينة أليكانت الإسبانية بعد قطع العلاقات الجزائرية الفرنسية بسبب الحملة الفرنسية على مصر، يخبرانه أن الداي مصطفى باشا أبدى فرحا شديدا عندما سمح بعقد الصلح بين فرنسا والباب العالي، وطلب منهما أن يخبرا الحكومة الفرنسية برغبته في عقد معاهدة صلح جديدة معها، من هنا يتضح جليا مدى نفوذ التاجرين اليهوديين على شخصية الداي إلى درجة تحكمهما في القرارات السيادية للجزائر[41].

وبسبب نفوذه الكبير وسوء تصرفه قام أحد الجنود الأتراك (الإنكشاريين) في جوان 1805م بقتل اليهودي بوشناق وهو خارج من قصر الداي بالجنينة مخاطبا له " تحية إليك يا ملك الجزائر"، أما صديقه بكري فأُقيل بأمر من الديوان عام 1811م، أما الداي مصطفى لم يسلم من مؤامرة الاغتيال في أوت 1805 على يد أحد الجنود الانكشاريين[42]، وهذه نتيجة أخطاء ارتكبها والتي من أهمها كما ذكرها حمدان خوجة هو إعطاءه لليهودي بوشناق السلطة المطلقة في تسيير الجزائر[43].

خلاصة:

عرفت الجزائر في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بين 1800- 1830 تحوّلا خطيرا شمل كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فرغم المحاولات التي قام بها بعض الدايات لإصلاح أحوال الجزائر، إلا أن نتائجها كانت محدودة جاءت في وقت متأخر تفاقمت فيه الأوضاع الداخلية وتعددت الغارات الخارجية.

كما لا ننسى دور اليهود في إدخال الجزائر في نفق مظلم بعد تحكمهم في مصير البلاد سياسيا واقتصاديا، ولم يكن اليهود ليصلوا إلى هذه المرتبة لولا التواطؤ الذي كان من قبل الحكام الذين سهّلوا لهم عمليات الاحتكار على حساب التجار المحليين.

---

[41]- خليفة حماش، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي 1798 – 1830م**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الاداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة الاسكندرية، مصر، 1987-1988، ص 211.

[42]- كمال بن صحراوي، **مرجع سابق**، ص ص85، 88.

[43]- حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 112.

المحاضرة الثالثة

العلاقات الجزائرية الفرنسية

تمهيد:

اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية عموما بالطيبة بحيث ارتبطت بروابط الصداقة والتعاون بحكم الامتيازات التي تحصلت عليها فرنسا في الجزائر، ثم تدعّمت هذه العلاقات خلال فترة الثورة الفرنسية بتقديم الجزائر مساعدات مالية وغذائية في ظروف كانت تعيشها فرنسا من حصار من قبل الدول الأوروبية.

1- مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية:

عرفت العلاقات بين الجزائر وفرنسا تطورات متباينة، من المودة والتعاون إلى التوتر والحروب، بحيث بدأت العلاقات الأولى بالجيدة بين البلدين في عهد خير الدين وفرانسوا الأول بعد التوقيع على المعاهدة الثلاثية le Traité tripartite بين مبعوث خير الدين الذي حلّ بفرنسا بدعوة من ملكها، ومبعوث السلطان العثماني وفرنسوا الأول عام 1535م، كانت فرنسا حريصة على اكتساب ود الجزائر وذلك ابتداءً من سنة 1534م، وعلى اثر هذه المعاهدة توجه السفير الفرنسي الأول إلى الجزائر جون دو لا فوري Jean de La foret ، ثم عين قنصل فرنسي آخر سنة 1538م وكان أول قنصل أوروبي، وقد تتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو كسفراء[44].

وبالتوازي مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا بمبادرة من هذه الأخيرة، أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا، وذلك بإنشاء فرنسا للمركز التجاري في مدينة القالة – كما أشرنا سابقا – ثم توترت العلاقات بين البلدين إثر الحملات الفرنسية على مدينتي الجزائر وشرشال عامي 1682 -1683م، لتعود من جديد إلى طبيعتها في عهد الداي محمد بن عثمان وحكومة الثورة الفرنسية 1789م التي بادرت الجزائر بالاعتراف بها، كما قدمت لها مساعدات غذائية تمثلت في الدقيق، القمح، الشعير، وغيرها وهذا بطلب

[44]- جمال قنان، **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، مج 2، ط خ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 26.

صريح من الحكومة الفرنسية، في الوقت الذي كانت فيه الأنظمة الملكية الأوروبية تحاصر فرنسا سياسيا واقتصاديا للقضاء على النظام الجمهوري الجديد[45].

وفي عام 1793م قرّر الداي حسن أن يعطي فرنسا قرضا خاصا لشراء المواد الغذائية من الجزائر قدره مليون فرنك ذهبي، وأتبع في العام التالي 1794م قرضا آخر قدره مليونين فرنك ذهبي، وتجاوزت مساعدات الجزائر الغذائية لفرنسا إلى مساعدات عسكرية تمكنها من الوقوف في وجه أعدائها.

لكن في عهد الداي مصطفى باشا توقفت المساعدات الجزائرية لفرنسا وذلك بعد أن رفض تقديم المعونة والدعم اللذين طلبهما نابوليون بونابرت، بسبب الحملة التي شنها ضد مصر سنة 1798م، وأكثر من ذلك وجه إنذارا لفرنسا أن تسدد الديون التي عليها للجزائر بما أنها أصبحت قادرة على شن الحروب وحدها، وإلا أعلن الحرب عليها، وقد علّل مصطفى باشا موقفه هذا بقوله:" إن الدول المسيحية في أوروبا تدين بالولاء المعنوي للكنيسة وهي كذلك تهرع لمساعدتها كلما دعتها لذلك، وبالمقابل فإن الدول الإسلامية حيثما وجدت يجب أن تكون هي أيضا مدينة بالولاء للخلافة الإسلامية، ولأن مصر دولة إسلامية معتدى عليها من طرف دولة مسيحية فإن الواجب يفرض على حاكم دولة إسلامية أن يقف إلى جانبها وأن لا يبقي وسائله وإمكانياته في حوزة المعتدي"[46].

وبعد انسحاب نابوليون بونابرت من مصر بعث برسالة إلى الداي مصطفى باشا يلتمس فيها إعادة النظر في العلاقات الفرنسية الجزائرية، ويعيد المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لفرنسا، وتعهد نابليون بالوقوف إلى جانبه دبلوماسيا لمواجهة المتحالفين ضده في أوروبا، وقد قبل الداي هذا العرض وعادت العلاقات إلى طبيعتها.

---

[45]– مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج2، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 110، 120.

[46]– جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، **مرجع سابق**، ص 124، 125.

لكن سرعان ما توترت العلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد، بسبب عدم تقديم قنصل نابليون ديبوا تانفيل Dubois Thainville الهدية التي اعتاد القناصل تقديمها له، وحين طلب الباشا رسميا على أساس أنها شيء واجب، رد عليه نابوليون برسالة ساخطة هدّد فيها بتحطيم الأسطول الجزائري، وأنذر بأن فرنسا على عهده ليست هي فرنسا على عهد البوربون، وكان نتيجة ذلك أن احتجزت الجزائر سفينتين فرنسيتين وضربت أخرى في ميناء تونس من أحد الجزائريين[47].

كما أقدم الداي أحمد باشا على سحب الامتيازات من فرنسا ومنحها إلى منافستها بريطانيا عام 1806م إلى غاية 1816م أين أعادتها للمرة الثانية لفرنسا، وبعدها جاءت أزمة ديون الجزائر على فرنسا وما ترتب عنها من نزاع إلى احتلال.

وتجدر الإشارة أن عدد المعاهدات والاتفاقيات المنعقدة بين الجزائر وفرنسا كثيرة بلغت السبعين معاهدة وهي في الغالب معاهدات سلم وتجارة، تمّ التوقيع عليها في سنوات مختلفة 1534، 1619، 1628، 1640، 1661، 1662، 1666م، وكانت أكثر هذه المعاهدات تخدم مصالح فرنسا، كما تنوعت المساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا بين المساعدات العسكرية البحرية، والمساعدات الدبلوماسية للثورة الفرنسية، والمساعدات الاقتصادية والمالية للثورة[48].

غير أن أطماع فرنسا التوسعية كانت تحُول دون استقرار علاقتها السياسية والدبلوماسية مع الجزائر، ويرجع بعض المؤرخين النزاع الفرنسي الجزائري إلى عدة أسباب من أهمها:

1- تطلع فرنسا إلى تحقيق مكاسب واسعة في الجزائر.

2- اعتماد أسلوب القوة تجاه أي خلاف ينشب ما بين بحارتها وبحارة الجزائر.

3- شركة " لانش" المركز التجاري الفرنسي بساحل القالة وعنابة.

---

[47]- عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 442.

[48]- علي تابليت، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1619- 1830**، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، ص ص 36-49.

وعموما منذ تاريخ إبرام معاهدة سلم بين الجزائر وفرنسا في 27 سبتمبر 1689م إلى غاية 12 جوان 1827م وهو تاريخ بداية القطيعة أي مدة مائة وثمان وثلاثون سنة (183 سنة)، لم تعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية أي توتر، لأنه لا يمكن أن نعتبر القطيعة التي حدثت أثناء العدوان الفرنسي على مصر سنة 1798م، لأن الأوامر جاءت بأمر السلطان العثماني سليم الثالث[49]، أما بقية الدول الأوروبية مثل السويد والدنمارك وألمانيا فقد سارعت إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر لتأمين سفنها التجارية العابرة للبحر الأبيض المتوسط.

2- التحالف الغربي ضد الجزائر:

في أوائل القرن 19م أدركت الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مدى أهمية التكتل الأوروبي المسيحي ولمّ شمله في تحالف فبدأت تكف عن دفع الإتاوات للجزائر، كما أصبحت النوايا الاستعمارية الأوروبية تتجلى في الأفق، خاصة بعدما حققت تفوقا عسكريا واضحا على الجزائر بفضل دخول دول أوروبا مرحلة الثورة الصناعية الحديثة وعدم مواكبة الصناعة الجزائرية لهذا التطور، وبذلك اختل ميزان القوى لصالح أوروبا على حساب الجزائر.

وأول من فكّر في تكتل الأوروبيين على شكل حلف بحري ضد الجزائر هو الأميرال الإنجليزي سدناي سميث Sidney Smith الذي كتب مذكرة بلندن في 31 أوت 1814م عنونها " مذكرة حول ضرورة اتخاذ الوسائل اللازمة لإيقاف دول الشمال إفريقيا" « Mémoire sur la nécessité et les moyens de faire cesser les pirateries des Etats Barbaresques » وبعثها إلى حكومات الدول الأوروبية يحثهم فيها على أهمية الإتحاد لوضع حد لقرصنة دول شمال إفريقيا[50].

---

[49]- عمار حمداني، **حقيقة غزو الجزائر**، تر : لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 32.

[50]- زكية زهرة، الأميرال سدناي سميث والتحالف الأوروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814، **مجلة الدراسات التاريخية**، العددان 15-16، السنة 2013م، ص 223.

وتجسيدا لهذا المشروع تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا Wien حضرته بروسيا وروسيا والنمسا الذي انعقد في سبتمبر 1814م وانتهى في 9 جوان 1815م بطلب من انجلترا وذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط واسترقاق المسيحيين، وكلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر، فتوجه الانجليزي اللورد اكسموث Lord viscount Exmouth في 27 أوت 1816 على متن أسطول بحري إلى الجزائر ولما اقترب من سواحلها وضع الداي عمر باشا القنصل البريطاني في السجن، لكن البحرية الجزائرية انخدعت بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن الحربية البريطانية فتركتها تدخل للميناء الجزائري[51]، فقنبلت بالمدفعية الأسطول البحري الجزائري وألحقت به أضرارا جسيمة تم تدمير 4 بوارج كبيرة ذات 40 مدفعا و5 حراقات حربية كبيرة ذات 30 مدفعا و30 زورقا حربيا، بالإضافة إلى تدمير سفن تجارية مختلف الأشكال والأحجام، وحاملات المدافع ومخازن السفن وغيرها، مما أجبر الداي عمر على قبول شروط مؤتمر فيينا[52].

والجدير بالذكر أن حملة اكسموث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية في إزاحة الجزائر وبحريتها من حوض البحر المتوسط، وباطنها رغبة إنجلترا في فرض سيطرتها على البحر من جبل طارق إلى صقلية للاستحواذ على طرق المواصلات والحفاظ على مصالحها التجارية، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية[53]، وعليه فإن الانجليز لم يعرفوا كيف يحافظون على علاقاتهم مع الجزائر، في حين استغلت فرنسا الظروف في صالحها لاسترجاع مؤسساتها التي ضاعت منها سنة 1807م ولم تورط نفسها في الصراع الجزائري الانجليزي، وهكذا أسرعت حكومة لويس الثامن عشر بتعيين القنصل الجديد بيار دوفال

---

[51]– عفرون محرز، **مذكرات من وراء القبور وقائع مأساة مبيتة**، تر: الحاج مسعود مسعود،ج1، ط.خ، دار هومه، الجزائر، 2008، ص 124.

[52]– **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816– 1824م**، تعليق وتعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 303، 304.

[53]– زكية زهرة، **التنافس الفرنسي الانكليزي على الجزائر ومواقف الباب العالي منه 1792– 1830**، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 161.

Pierre Duval في أوت 1815م وأكدت نيتها للداي في تصفية ديونها، فعادت العلاقات بإبرام معاهدة سلم وصداقة، وبهذا الموقف استرجعت مؤسساتها الواقعة على السواحل الجزائرية سنة 1817م[54].

ولم تتوقف الدول الأوروبية عند هذا الحد فقد فتح مؤتمر فيينا الأبواب على مصراعيها للساسة الأوروبيين لعقد مؤتمرات أخرى، في 30 سبتمبر 1818م عقد الأوروبيون للمرة الثانية مؤتمر ضد الجزائر عرف باسم مؤتمر اكس لاشابيل Aix la Chapelle قرروا فيه مطالبة كل من الجزائر وتونس وليبيا بوضع حد للقرصنة واعتبروا أي مساس بالبواخر التجارية لأحد من هذه الدول المتحالفة سيؤدي إلى رد فعل سريع[55].

وفي 5 سبتمبر 1819م قدمت قطعة بحرية انجليزية فرنسية تحت قيادة الأميرالين "فريمونتل" و"جورين دولاجرافيير" إلى الجزائر، ليبلغا الداي حسين بقرارات المؤتمر والمتمثلة في وضع حد لأعمال القرصنة والعنف التي تمارسها سفن الايالة في البحر الأبيض المتوسط[56]، لكنه رفض استقبالهما وجمع القناصل الأوروبيين وحملها إلى أوروبا رسائل يقول فيها " الجزائر حرة في تسيير شؤونها كيف تشاء، وهي ليست مستعدة لتطبيق الأوامر التي تأتي من الخارج"، ثم أمر القناصل الأجانب بأن يقدموا الهدايا المتأخرة، وعندما رأى المشاركون في مؤتمر "اكس لاشابيل" تعنّت الداي حسين، قرر أن تنظم حملة عسكرية تشارك فيها معظم الدول الأوروبية لتأديب الجزائر.

ومن جانب الولايات المتحدة الأمريكية ظلّت تدفع الإتاوة السنوية للجزائر من سنة 1795م إلى غاية 1810م وعندما توقفت عن الدفع وقعت الحرب بين الطرفين، ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى القطيعة فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت عاجزة في شن حملة عسكرية ضد الجزائر، لانشغالها في حرب مع إنجلترا، وبعد انتهاء الحرب سنة

---

[54]– زكية زهرة، الأميرال سدناي سميث...، **مرجع سابق**، ص 230.

[55]– جخدان بو عبد الله، المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814– 1818 " مؤتمر اكس لا شابل 1818"، **مجلة عصور**، العدد 34–35، أفريل– جوان 2017، ص ص 388– 405.

[56]– مذكرات وليام شالر ...، **مصدر سابق**، ص 325، 326.

1814م أعلن الكونجرس الأمريكي الحرب على الجزائر، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية أسطول في ماي 1815م وفي طريقه إلى الجزائر اعترضته سفينة بقيادة الرايس حميدو(1770- 1815م) فقام بمطاردة السفينة وقتلوا البحارة الجزائريين بما فيهم الرايس حميدو، ثم واصلوا السير فاشتبكوا مع سفينة أخرى وأسروا بما فيها، وعندما وصل الأسطول إلى ميناء الجزائر حاول الأمريكيون التفاوض مع الداي عمر (1815- 1817م) فامتنع في البداية، بعدها اضطر إلى التفاوض بعد إخباره بمقتل الرايس حميدو، فوقعا الطرفين اتفاقية في 30 جوان 1815م نصت على إلغاء دفع الإتاوة السنوية مع إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين ودفع تعويضات عن السفينة الأمريكية إديوين بمقدار 10 آلاف دولار، وبالمقابل تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بإرجاع السفينتين الجزائريتين وإطلاق سراح الأسرى الجزائريين، وعليه وبعد إبرام هذه الاتفاقية تم تعيين وليام شالر قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر[57].

بعدها دخلت الجزائر في مرحلة ضعف وانحطاط خاصة بعد تحطيم أسطولها في معركة نافرين Navarin يوم 20 أكتوبر 1827م، ففقدت والإمبراطورية العثمانية قوتهما وهيبتهما، فتكالبت عليها الدول الأوروبية وكانت نهاية الوجود العثماني في الجزائر في عهد الداي حسين آخر دايات الجزائر على يد فرنسا عام 1830م بعد ثلاثة قرون من وجودها.

[57]- **نفسه**، ص ص 317، 319.

المحاضرة الرابعة

المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر

تمهيد:

بدأت الحكومة الفرنسية في تجسيد نواياها المبيّتة ضد الجزائر منذ القرن الثامن عشر الميلادي بالاستعداد والتحضير لحملة عسكرية، وذلك بجمع المعلومات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تخص الجزائر، إلا أن الظروف الداخلية والخارجية لفرنسا كانت تحول دون تنفيذها، إضافة إلى قوة الجزائر التي فرضت سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط، وإفشال أسطولها كل الهجمات الأوروبية قصد احتلالها، ولكثرة هذه المشاريع الاستعمارية نكتفي ببعض المخططات.

1- النوايا الفرنسية لاحتلال الجزائر:

كل الدراسات التاريخية التي أنجزت حول غزو فرنسا للجزائر أكدت على أن فرنسا كان لها نوايا مسبقة للغزو رغم أن التقارير والأدبيات الفرنسية ذكرت بأن سبب الغزو يرجع إلى حادثة المروحة ولكن مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية آنذاك بيّنت عكس هذه الحجة، فالمشاريع التي أعدتها فرنسا قبل ذلك من أجل احتلال الجزائر كانت سابقة لحادثة المروحة ومن المؤكد أنها أعدت مخططات لإنجاح العملية.

تعتبر حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل الفرنسي بالجزائر دوفال يوم 29 أفريل 1827م، ظاهريا السبب المباشر الذي أدى بفرنسا لاحتلال الجزائر بهدف تأديب الداي، لكن إذا تعمقنا في الأحداث التاريخية التي سبقت الاحتلال لوجدنا أن فرنسا كانت تخطط لاحتلال الجزائر والاستيلاء عليها منذ قرون عديدة.

وهي الحقيقة التي صرّح بها بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال شارل روبير أجرون الذي قال:" إن الفكرة التي أثيرت دوما طيلة القرون العديد والرامية إلى غزو الجزائر قد تجددت

سنة 1827م "، ويؤكد هذا القول ما قاله المؤرخ الفرنسي اوغستين برنار في كتابه "الجزائر": " إن احتلال الجزائر هو ثمرة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير "[58].

والحقائق التاريخية تثبت أن النوايا العدوانية الفرنسية ضد الجزائر تعود إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي، عندما كان ملك فرنسا لويس التاسع أو لويس القديس ST.Louis (1226م- 1270م) يفكر في غزو واحتلال بلدان المغرب، فقام بحملة صليبية على تونس سنة 1270م بعد حملة المنصورة بمصر سنة 1249م، وتقول كثير من المراجع أنه كان يقصد الجزائر بالذات، غير أن لويس التاسع مات دون تحقيق حلمه سنة 1270م.

ومن جهته أضمر ملك فرنسا شارل التاسع Charles IX (1560- 1574م) نية غزو الجزائر وتعيين أخيه دوق دانجو (le duc d'Anjou) ملكا على الجزائر، وذلك بعد معركة ليبانتو البحرية Lépanto التي هزم فيها الأسطول العثماني يوم 9 أكتوبر 1571م، وألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري، وبالتالي بدا لشارل التاسع أن الفرصة مواتية نظرا لضعف الأسطول الجزائري (ولو كان ضعفا مؤقتا)، فراوده الأمل شهر ماي 1572 في أن يتوج أخاه ملكا على الجزائر.

وفي عهد لويس الخامس عشر راودت فرنسا فكرة احتلالها للجزائر مرة أخرى، حيث تمت دراسة كيفية تنفيذ خطة وضعها لوفور Lefort سنة 1763م تحت عنوان "مذكرة لتخريب الجزائر".

2- المخططات العسكرية الفرنسية:

استقت فرنسا في تنفيذ مخططاتها على معلومات القناصل والتجار والمبعوثين الفرنسيين الذين أقاموا بالجزائر، أو أرسلتهم الحكومة الفرنسية خصيصا للتجسس لوضع المشاريع والخطط العسكرية، ولكثرتها قسمناها حسب الفترات الزمنية، الفترة الأولى بين (1782-

[58]- الغالي غربي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد**، ط.خ، م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، 2007، ص 66، 67.

1801) والفترة الثانية في عهد نابوليون بونابرت (1802- 1809)، وأما الفترة الثالثة في عهد الملك شارل العاشر(1827- 1829).

1- الفترة الأولى: 1782- 1801: من أهم المشاريع العسكرية نذكر منها:

1-1- مشروع ديكارسي Dékercy:

في عهد لويس السادس عشر تمت دراسة خطة لغزو الجزائر أعدها القنصل العام الفرنسي بالجزائر دو كيرسي De Kércy 1782- 1791م، مكّنته مدة إقامته من الاطلاع على أوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية والعسكرية، في وضع مشروعين لاحتلال الجزائر، الأول سنة 1782م بعنوان " مذكرة حول الجزائر"، والثاني في سنة 1791م، تكمن أهميتهما أن كل المشاريع والمخططات التي أعدّت بعدهما في احتلال الجزائر أخذت المعلومات منهما، رغم ذلك إلا أن الحكومة الفرنسية لم تتمكن من تنفيذهما لانشغالها بمشاكلها الداخلية زيادة على تحسن في العلاقات الجزائرية الفرنسية، إضافة إلى المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لفك الحصار الاقتصادي على فرنسا المضروب من قبل الدول الأوروبية[59].

- مشروع دوكارسي الأول 1782م:

أبرز القنصل دوكارسي في هذا المخطط أهمية تدمير الجزائر للمحافظة على المصالح الفرنسية في البحر المتوسط، فاقترح تجريد حملة برية تقوم بإنزالين وعدم مهاجمة الجزائر بحريا وذلك باستعمال الجيش البري ينزل غرب البلاد دون تحديد المكان، وإيهام الجزائريين على أنه هجوم بحري من الناحية الشرقية عند تمنفوست (كاب ماتيفو) ثم يتم الانسحاب غربا ويكون الإنزال للجنود والمقدر ب 30 ألف جندي زيادة على العتاد وإقامة المتاريس، ثم يبدأ الزحف نحو مدينة الجزائر بفرقتي المشاة والمدفعية لضرب الحصار برياّ للاستيلاء على المدينة، كما اقترح على الحكومة الفرنسية في حال نجاح الحملة بهدم الحصون ونقل المدافع إلى فرنسا وتأسيس حكومة مشكلة من الأهالي ليكون انتعاش تجاري بين البلدين[60].

---

[59]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، **مرجع سابق**، ص 173.

[60] - جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، **مرجع سابق**، ص 464.

هذا من حيث الخطة العسكرية، أما سياسيا دبلوماسيا وتجاريا اقترح القنصل أن تبقى العلاقات الجزائرية الفرنسية على طبيعتها، كما حذّر حكومته بعدم قطع تلك العلاقات مهما كلّفها الأمر ونصحها بالجدية في تعاملها مع الجزائر وعدم التسرع في اتخاذ القرار، وبخصوص موضوع الأسرى اقترح القنصل عقد اتفاق مع الجزائر حول افتداء الأسرى حتى لا تكون فيه مساومات ولا وسيلة ضغط بيد الجزائريين في حالة إعلان الحرب[61].

ورغم جدية هذا المخطط العسكري إلا أنه يُعاب عليه عدم تزويده بخرائط جغرافية أو طوبوغرافية أو مخططات تصميمية تدعم مشروعه العسكري لاحتلال الجزائر[62].

- مشروع دوكارسي الثاني 1791م:

أنجز دوكارسي هذا المشروع في السنة التي عاد فيها إلى باريس سنة 1791م، وقد كرّر في مشروعه الثاني على ضرورة اتخاذ مجموعة من الإجراءات قبل إعلان الحرب على الجزائر، منها إخراج الرعايا الفرنسيين المقيمين في الجزائر، وسحب كل السفن الفرنسية من الموانئ الجزائرية، مع إعلان الحصار البحري على مدينة الجزائر وتشديد الرقابة على موانئها لمنع البحارة الجزائريين من الإبحار، وكمرحلة أخيرة من الخطة يتم حشد القوات الضرورية لإخضاع مدينة الجزائر، ورأى أن أنسب منطقة إنزال للقوات الفرنسية هي سيدي فرج[63].

1-2- مشروع فرانسوا لوماي François Philipe Le Maye 1800م:

استطاع فرانسوا لوماي انجاز مخطط عسكري سنة 1800م قدّم فيه معلومات قيّمة حول الجزائر، تضمّن هذا المخطط قسمين، ففي القسم الأول عرض فيه لمحة حول الوضع السياسي والاقتصادي والتجاري والعسكري والإحصائي للجزائر، وأما القسم الثاني خصّصه للمخطط العسكري والطريقة التي بموجبها يتم الهجوم على مدينة الجزائر، وذلك بالنزول المفاجئ والقوي والسريع في شرق وغرب مدينة الجزائر في يوم واحد، ثم يتم الاستيلاء على برج مولاي حسن باعتباره حامي مدينة الجزائر، وسخر لهذه العملية جيش الذي قدّره ما بين

---

[61]- الغالي غربي، **مرجع سابق** ، ص 68.

[62]- فريد بنور، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782- 1830**، دار الواحة للكتاب، 2009، ص 62.

[63]- الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 69، 70.

30 ألف و40 ألف جندي، وأنهى مشروعه بالنتائج الإيجابية من وراء هذا الهجوم والذي ستجنيه فرنسا باستيلائها على الخزينة والثروات الموجودة والأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة[64].

1-3- مشروع ديبوا تانفيل الأول François Dubois Thainville 1801م:

قدّم القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل مشروعه لنابوليون بونابرت سنة 1801م بعنوان "ملخص عملياتي في إفريقيا" Précis de Mes Opérations en Afrique وهو دراسة مفصلة عن الجزائر بداية القرن 19م في مختلف جوانبه أكثر منه تقريرا عسكريا، تضمن محاور متعددة منها عن طبائع الحكام الجزائريين وتأثير فئة اليهود في الجزائر، وعن الأوضاع الاقتصادية للجزائر وإمكانياتها العسكرية البرية والبحرية[65].

2- الفترة الثانية: المخططات في عهد نابوليون 1802- 1809م:

تجددت نوايا فرنسا في احتلال الجزائر في عهد نابوليون بونابرت، حيث كان نابوليون يحلم بجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية، لذلك كان يخطط لحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي وإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية فيها، ولتحقيق ذلك طلب من الفرنسيين الذين كانوا أسرى في الجزائر أو الذين عاشوا فيها من قناصل ودبلوماسيين كتابة تقارير مفصلة وجمع معلومات عسكرية وطبوغرافية واقتصادية وعن سكانها وتحصيناتها[66]، ومن بين هذه المشاريع العسكرية نذكرها كالتالي:

2-1- مشروع جون بون سانت أندري Jean Bon Saint André 1802م:

قدّم سانت أندري مخططا عسكريا سنة 1802م لاحتلال الجزائر بناء على رغبة نابوليون بونابرت، أكّد فيه أهمية الرجوع إلى مشروع ديكارسي خاصة فيما تعلق بالمسائل العسكرية، وصف فيه التحصينات البرية والبحرية مشيرا إلى نقاط ضعف التحصينات البرية، واقترح أهم الإجراءات لتفادي ردة فعل القوة البحرية أثناء الحملة العسكرية، تكمن خطته في

---

[64]- الغالي غربي، **نفس المرجع**، ص 70.

[65]- **نفسه**، ص 70، 71.

[66]- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015،ص 19.

تقسيم الجيش إلى قسمين، الأول ينزل بسيدي فرج والآخر برأس ماتيفو (تامنفست) في آن واحد، ثم الزحف معا برا إلى قلعة مولاي حسن ثم الاستيلاء على مدينة الجزائر[67].

ولتحقيق هذا الانتصار واكتمال الاحتلال بصفة نهائية اقترح سانت أندري في مخططه إشغال الجزائر بإثارة الحرب مع جارتها تونس، في الوقت الذي ترسل فيه فرنسا حملتها على الجزائر، لتوجيه الجزائريين كل ثقلهم العسكري صوب المنطقة الشرقية فيتدخل باي قسنطينة لتعزيز الجيش الجزائري وتكون لفرنسا الفرصة للانقضاض على مدينة الجزائر[68] والاستيلاء عليها دون مقاومة، إلا أنه ورغم أهمية هذا المشروع العسكري إلا أن الحكومة الفرنسية لم تعره أي اهتمام بسبب انشغال فرنسا بالأوضاع الخارجية.

2-2- مشروع تيدينا Thedenat 1802م:

قدّم تيدينا نائب مفوض العلاقات الخارجية مشروعا سنة 1802م[69] بعنوان " نظرة حول إيالة الجزائر " أبدى فيه ملاحظات وأراء حول الجزائر بحكم إقامته بها لمدة خمس سنوات، استطاع التعّرف على الأماكن وعلى القوة العسكرية للبلاد، والأوضاع الاقتصادية وعادات سكانها مكنته من تعلّم اللغة العربية والتركية وبعض اللهجات المحلية[70]، هذا المشروع لا يختلف عن المشاريع السابقة من حيث المعلومات، إلا أنه أشار إلى نقطة مهمة وهي استحالة الهجوم البحري على مدينة الجزائر، فاقترح على الحكومة الفرنسية أن يكون إنزال الجيش في مدينة تنس غرب مدينة الجزائر لخُلُوها من التحصينات العسكرية، ثم يكون الهجوم بريا عبر سهل ومرتفعات ملیانة، إلا أن هذا المشروع لم ينفّذ بسبب الأوضاع الدولية[71].

---

[67]- محجوبي زهرة، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر 1741- 1830م، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، العدد 1، المجلد 2، جانفي 2020، ص 89.

[68]- فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 287.

[69]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ...، **مرجع سابق**، ص 174.

[70]- محجوبي زهرة، **مرجع سابق**، ص 90.

[71]- الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 74.

2-3- مشروع بيار هولان Pierre Hulin 1802م:

استغّل بيار هولان أثناء تواجده ضمن البعثة الفرنسية إلى مدينة الجزائر بقيادة الأميرال ليسيغ Les Segues للتفاوض مع الداي مصطفى باشا حول موضوع تجاوزات البحارة الجزائريين ضد السفن الأوروبية التي تحمل الراية الفرنسية، ومطالبته بالتعويضات عن الخسائر التي ألحقوها بتجارة فرنسا[72]، وبدأ يتجسس على أسرار الحكومة الجزائرية فجمع معلومات وملاحظات، وبعد عودته إلى باريس قدّم مشروعا عسكريا لاحتلال الجزائر لنابليون بونابرت بعنوان "ملاحظات حول جمهورية الجزائر "[73].

ورغم أهمية هذا المشروع إلا أنه لم يرسم خطة للاستيلاء على مدينة الجزائر، فاكتفى بتقديم معلومات عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للجزائر، وأرفق التقرير بصورة عامة لمدينة الجزائر موضحا فيها التحصينات والمرتفعات وأماكن الدخول إليها من الساحل والخليج، ورغم أهميته إلا أن الظروف الداخلية والخارجية لفرنسا حالت دون تنفيذه[74].

2-4- مشروع القبطان بيرج Berge 1802م:

وفي نفس الظروف التحق القبطان بيرج بالأسطول الفرنسي الذي حمل رسالة إنذار وتهديد من نابوليون بونابرت إلى الداي مصطفى، واستغّل فترة وجوده في الجزائر وجمع المعلومات عنها[75].

2-5- مشروع الضابط فانسان إيف بوتان Vincent Yves Boutin 1808م:

عاد نابوليون في 18 أفريل 1808م بجدية إلى مشروع الحملة ضد الجزائر، بسبب تجريد فرنسا نهائيا من ممتلكاتها في الجزائر ومنحها لإنجلترا، حيث كتب رسالة سرية إلى وزيره للبحرية والمستعمرات الفرنسية ديكريس Decrès طلب منه إعداد خطة مفصلة ودقيقة

---

[72]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ..، **مرجع سابق**، ص 175.

[73]- الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 74.

[74]- **نفسه**، ص 75.

[75]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني...، **مرجع سابق**، ص 175.

لغزو الجزائر، وتنفيذا لأوامر نابوليون بونابرت جمع الأميرال ديكري كل التقارير والمذكرات السابقة وأنهى كل الترتيبات، ولم يبق له إلا اختيار ضابط مؤهل للقيام بعملية الجوسسة على الجزائر وإعداد مخطط عسكري محكّم للغزو[76]، فوقع الاختيار على الضابط بوتان Boutin المتخصص في الهندسة القتالية ويتقن اللغتين التركية والعربية، كان يملك مؤهلات شخصية رشحته للعمل في المصالح السرية، تلقى تعليمات صارمة مفادها" إياك أن تحكي قصصا عند العودة، وتطلق العنان لخيالك، بل عليك أن تسجل أدنى جزئية في حينها وأن تقدم تقريرا كتابيا"، كما أوصى نابوليون بوتان:" أريد تفاصيل دقيقة بحيث لا تشتمل على الكلمات: لكن، إذا، لأن "[77].

أقام بوتان في الجزائر في الفترة ما من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808م متخفي بلباس مدني، وظل هناك متجسسا على الحصون دارسا خطة النزول بدقة متنقلا من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج غربا، ولقد وفّر له القنصل العام في الجزائر دوبوا تانفيل كل التسهيلات والمساعدات، ولم يكتف عند العودة بالتقرير الكتابي بل دعمه بخرائط ورسوم، وقد ضمن تقريره معلومات دقيقة عن تحصينات الجزائر وطبيعة أرضها، وعدد قواتها، وزمن الحملة المقترحة والمدة التي تستغرقها وعدد الجيش الضروري، كما أظهر الأخطار التي تتعرض لها الحملة من البحر ونصح بدلا من ذلك أن تكون الحملة برية، وبالاستيلاء على قلعة مولاي حسن لأنها تشرف على المدينة، واقترح أن يكون مكان نزول الحملة هو سيدي فرج لخلوه من المدافع والجنود[78].

---

[76]– أرزقي شويتام، **نفس المرجع**، ص 175، 176.

[77]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ...، **مرجع سابق**، ص 21.

[78]– عفرون محرز، **آل روتشليد وآل بكري وتاليران الملفات السياسية السرية في تاريخ الشعوب، إضاءات حول تاريخ فرنسا الحقيقي في الفترة من 1789 إلى 1830 واستعمار الجزائر**، تر: مسعود حاد مسعود، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 163، 176.

لم يتمكن بوتان من العودة إلى فرنسا مباشرة فقد احتجزه الإنجليز في البحر واستولوا على ما لديه من رسومات وتصاميم التي وضعها والمعلومات التي جمعها عن الجزائر[79]، لكنه استطاع الفرار وعاد من مهمته بمدينة الجزائر سنة 1808م، فاستقبله الإمبراطور نابوليون بونابرت شخصيا واستلم منه تقريره عن المهمة المنجزة، ولهذا اعتبر مشروع بوتان من أهم المشاريع الاستعمارية التجسسية الذي يحمل عنوان "الاستعمار"[80]، اعتمد من طرف وزارة الحربية الفرنسية كأحسن مصدر يمكن الاستعانة به للقيام بالحملة العسكرية، وطُبع التقرير في كتاب ووزع على قادة مختلف تشكيلات الجيش الفرنسي، والتزموا بنصائحه في تحركاتهم وتوغلاتهم[81].

ولكن نابوليون تخلى عن مشروع الحملة لانشغاله بالحرب في اسبانيا وبحملة روسيا وضعف الأسطول الفرنسي، كما أن العلاقات الجزائرية الفرنسية رجعت إلى طبيعتها، كل هذه الظروف حالت دون تحقيق أطماعه.

2-6- مشروع ديبوا تانفيل الثاني 1809م:

حاول ديبوا تانفيل أن يرسم في مشروعه الثاني خطة عسكرية تكون مغايرة نوعا ما عن المشروع الأول، بحيث ركّز على استمالة القبائل والمرابطين الجزائريين لإقامة مستعمرة جديدة، وأيضا التظاهر بحسن النية أمام الجزائريين والعمل على خلق طبقة اجتماعية من السكان البربر تكون موالية لفرنسا، وإقامة مراكز عسكرية في المناطق الساحلية[82].

---

[79]- جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، **مرجع سابق**، ص 255.

[80]- عفرون محرز، **مذكرات من وراء القبور**، تر: الحاج مسعود مسعود، ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 318.

[81]- الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 75.

[82]- محجوبي زهرة، **مرجع سابق**، ص 92.

المحاضرة الخامسة

المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(تابع)

3- الفترة الثالثة: في عهد الملك شارل العاشر 1827- 1829:

رغم الظروف الداخلية والخارجية لفرنسا بقيت المشاريع والمخططات العسكرية متواصلة في عهد شارل العاشر نذكر منها:

3-1- مشروع 8 جوان 1827م:

هو مشروع عسكري كُتب في مدينة طولون في 8 جوان 1827م يحمل اسم ت.ح. إيمي T.H.Aimé أثناء فترة توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية، جاء في التقرير ضعف التحصينات البرية في الجزائر على عكس التحصينات البحرية فهي قوية، كما حدّد مدة الغزو الفرنسي للجزائر في 15 يوما وألّح على ضرورة الاستيلاء على الخزينة الجزائرية[83].

3-2- مشروع ليني دوفيلفيك Lainé de Villevéque 10 جويلية 1827م:

لا يختلف عن سابقيه، فهو مشروع عسكري تمثلت خطته بإرسال حملة عسكرية تكون في فصل الربيع لتسهيل عملية الإنزال واختار مكانين الأول شرق مدينة الجزائر وتكون في خليج تمنفوست، والثاني في خليج غرب المدينة لم يحدد المكان، كما حدّد عدد الجيش الفرنسي الذي يتراوح بين 20 ألف و25 ألف جندي، وفي حالة الضرورة اقترح استغلال الجنود الفرنسيين الموجودين بقرطاجة الاسبانية ليسهل نقلهم إلى الجزائر في ظرف أربعة أيام، ويرى أن سبب نجاح الحملة يكمن في اختصار المسافة وكتمان سر الحرب مع السرعة في تنفيذ العمليات العسكرية بتكثيف استعمال مدفعية الميدان ومدافع الهاون لضرب حصار بري على مدينة الجزائر، وفي نفس الوقت يتم مهاجمة المدينة بحرا وقدّر المدة التي تستولي فيها فرنسا على مدينة الجزائر خلال ثمانية أيام، بعدها يتمكن الجيش من الوصول إلى خزينة الجزائر لتعويض نفقات الحملة[84].

---

[83]- فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 512، 513.

[84]- **نفسه**، ص ص 460، 462.

لم يكتف ليني عند هذا الحد برسم خطة احتلال مدينة الجزائر، بل رسم خطة عسكرية في توجيه حملات عسكرية أخرى نحو الشرق والغرب لاحتلال قسنطينة وتبسة ووهران، اقترح بعد احتلال مدينة الجزائر أن يضع حامية مقدرة ب5 آلاف جندي لحراستها، أما بقية الجيش يقسم إلى قسمين، القسم الأول يتكون من ثمانية آلاف جندي يتجه بحرا إلى عنابة ثم يزحف نحو قسنطينة لقرب المسافة، يطرد منها الأتراك ويحرر القبائل العربية ويعقد اتفاقا معها قصد تزويد الجيش بالمؤونة، ثم يتجه الى مدينة تبسة لتأمين الحدود الجزائرية التونسية والاستعداد للمواجهة في حالة هجوم مرتقب، وأما القسم الثاني والمكون من نفس العدد (8000 جندي) يتوجهون نحو مدينة وهران وتلمسان لحماية الحدود الجزائرية المغربية تحسبا لأي هجوم مغربي بتحريض من انجلترا، ومحاولة كسب القبائل العربية كقبيلة بنو عامر، مع إقامة معسكرات ومستوطنات لجلب المهاجرين إلى المناطق الخصبة[85].

3-3- مشروع بيار دوفال Pierre Duval 1827م:

كان بيار دوفال من المتحمسين لاحتلال الجزائر ويعتبر من المتسببين في الأزمة السياسية بين الجزائر وفرنسا وعمد إلى زعزعة العلاقات بين الطرفين، وفي نفس الوقت كان تاجرا تربطه علاقات مع اليهوديين بكري وبوشناق، وهو شخصية مريبة تورط في قضايا غير مشرفة، حاول التفكير في كيفية الاستيلاء على الجزائر بتقديم مشروعين عسكريين الأول 28 ديسمبر 1819م، والثاني في 07 أوت 1827م، أعدّ دوفال مشروعه الأول كما ذكرنا قبل ظهور النزاع بين الجزائر وفرنسا، إذ لم تكن هناك أسباب موضوعية لكتابة هذا التقرير لأن العلاقات آنذاك كانت حسنة، استفادت فرنسا من خلالها امتيازات تجارية مهمة في عنابة والقالة والقل لصيد المرجان، وعليه فالمشروع تجسسي وكان بدافع شخصي بإرسال حملة عسكرية لضرب حصار بري على مدينة الجزائر لغياب التحصينات البرية، وسهولة الوصول إلى قلعة مولاي حسن.

[85]- محجوبي زهرة، **مرجع سابق**، ص 94.

وأما المشروع الثاني قدّمه تنفيذا لأوامر وزير البحرية والمستعمرات الكونت شابرول كروزل le Comte Chaprol Crouzol تناول فيه أهم الحملات البحرية التي وجهتها الدول الأوروبية بما فيها فرنسا وأثبت فشلها الذريع بسبب التحصينات البحرية والبرية للجزائر، كما تطرق بالتفصيل أهم الأحداث التي عاشها وعاصرها أثناء إقامته بالجزائر، وضمّن تقريره بوصف طوبوغرافي لمدينة الجزائر مع استعراض الوضعية العسكرية والاجتماعية والاقتصادية للجزائر[86].

اقترح بيار دوفال في خطته العسكرية على عملية الإنزال للقوات الفرنسية في منطقتين واحدة غرب مدينة الجزائر وحددها في رأس فاكسين والتي تبعد عنها بحوالي 5 أميال، وأما المنطقة الثانية حدّدها شرق مدينة الجزائر بين واد الحراش والبرج البحري، أما الخطة المقترحة هي تقسيم الجيش إلى قسمين يتم إنزالهما في مكانين مختلفين في نهاية الخليج بين واد الحراش والبرج البحري، أولا يكون الهجوم ضعيفا وخفيفا لجلب انتباه الجزائريين نحو البحر ثم يوجهون ثقلهم العسكري نحو البحر، في هذه الظروف يقتحم الجيش البري من الناحية الغربية ويهاجم مدينة الجزائر ويستولي عليها، ثم يضرب عليها حصاراً بقطع طرق التموين فتحل المجاعة فيموت الناس بالجوع وينقص عدد السكان، كما اقترح أن تكون الحملة في شهر أفريل أو جوان، وقدّر عدد الجنود للقيام بهذه الخطة ما بين 20 ألف و25 ألف من المشاة وألف من الخيالة[87].

كما اقترح في خطته العسكرية توجيه فرقتين من الجيش واحدة شرقا إلى عنابة بتعداد خمسة آلاف جندي بقيادة قنصل عنابة ورومبيرت Rambert مدير الشركة الإفريقية، والفرقة الثانية تتجه نحو منطقة أرزيو بقيادة المترجمان بالقنصلية مارتان Martin وجوليان Julien [88].

---

[86]– الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 77.

[87]– فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 541.

[88]– **نفسه**، ص 544.

3-4- مشروع جوزيف كولي Joseph Collet 10 أوت 1827م:

عُيّن جوزيف كولي قائدا لسفينة لابروفانس la Procince الذي أوكلت له مهمة فرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية في 16 جوان 1827م، وكان من أنصار الحملة الفرنسية على الجزائر ،استغل الفرصة وقدّم خطة لا تختلف عن سابقيها تناول فيها الأوضاع العسكرية للجزائر محذرا الحكومة الفرنسية في حالة قيامها بحملة بحرية سيكون مآلها الفشل بناءً على ما قدّمه القنصل دوفال وما جاء به الضابط بوتان بأن نقطة ضعف مدينة الجزائر هي التحصينات البرية الضعيفة[89].

اقتنع كولي أن الجزائر قوة بحرية لها تحصينات ومدافع وانطلاقا من ملاحظاته، صرّح في مشروعه:" لي الشرف العظيم أن أخبر سعادتكم بأن المعلومات التي تحصلت عليها حول الوضع بمدينة الجزائر ومنشآتها الدفاعية جعلتني لا أعتقد بأنه من الممكن أن نجرّب مع نوع من الأمل في نجاح حملة بحرية على الميناء أو على المدينة ذاتها"[90]، كما نوّه بأن الجزائريين لم يولوا عناية خاصة بالتحصينات البرية، وهو ما أشار إليه بضرورة الرجوع إلى مشروع بوتان.

3-5- مشروع الكونت شابرول كروزل Comte Chaprol Crouzol 22 أوت 1827م:

تناول مشروعه لاحتلال الجزائر في دراسة المجتمع الجزائري الذي ربطه بإمكانية مساعدة الجزائريين لفرنسا بحكم علاقة الكراهية بين المجتمع والسلطة الحاكمة، في هذه الحالة يمكن للحملة العسكرية أن تنجح، كما اقترح إشراك القوتين البحرية والبرية في الحملة وقدّر عدد الجيش بـ 25 ألف جندي[91].

---

[89]- محجوبي زهرة، **مرجع سابق**، ص 94.

[90]- فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 475.

[91]- **نفسه**، ص 559.

3-6- مشروع باربي دوباكاج Jean Barbie de Bacage 30 أوت 1827م:

هو عالم جغرافي كرّس حياته للعلوم حاول تقديم مشروع لاحتلال الجزائر، لكنه لا يختلف عن المشاريع السابقة بحيث اقترح على تكون الحملة برية واختار مكانين للإنزال غرب مدينة الجزائر هما تنس أو شرشال، بعدها يتم الزحف عبر جبال وسهول مليانة ثم متيجة للوصول إلى مدينة الجزائر، كما اقترح ضرب حصار بري عليها وقطع التموين والإمدادات التي تصلها من البياليك الثلاث (التيطري، قسنطينة، ووهران)، ثم تليها مرحلة الهجوم المفاجئ مؤكدا على ضرورة استعمال مدفعية الميدان بقوة، بجيش قدّره بحوالي 8 آلاف جندي لإحداث الاضطراب في صفوف الجزائريين، معتقدا أن القبائل لن تشارك السلطة الجزائرية في المعارك بسبب سوء العلاقة بينهما[92].

وأشار في التقرير أيضا أنه في حالة نجاح الحملة العسكرية يتم الاستيلاء على كل السفن وعلى خزينة الدولة الجزائرية لتعويض نفقات الحملة، وبالموازاة قدّر عدد الجيش الفرنسي ب 40 ألف جندي يوزعون كالتالي: بين 10 آلاف إلى 12 ألف جندي يوجه لاحتلال مدينة الجزائر، وحوالي 5 آلاف جندي يوجهون إلى تلمسان و5 آلاف جندي يوجهون إلى وهران ثم معسكر، كما أصر على السيطرة على وادي الشلف ومليانة باعتبارهما نقطة التقاء مع الجيش المكلف باحتلال مدينة الجزائر، وبنفس العدد يتوجه صوب عنابة ومنها إلى قسنطينة، وهكذا يتم احتلال المدن الساحلية بما فيها المدن الكبرى، كما نبّه الحكومة الفرنسية بعدم المساس بالعادات وتقاليد والدين الإسلامي للمجتمع الجزائري، وإبرام معاهدة مع الباب العالي بعدم تجنيد الجيش الجزائري وإرسال المساعدات العسكرية من سفن وعتاد، وعلى الحكومة الفرنسية بأن تنشأ حكومة متحضرة في الجزائر تقوم بأعمال الزراعة والصناعة[93].

---

[92]- **نفسه**، ص 547.

[93]- **نفسه**، ص 548.

3-7- مشروع دوبوتي توار Aubert de Petit Thouars 20 سبتمبر 1827م:

تناول دوبوتي توار في تقريره عدم جدوى الحصار البحري المفروض على الجزائر لأنه لا يسبب للدولة الجزائرية أضرارا بليغة بحكم عدم امتلاكها لتجارة خارجية بحرية، كما اقترح عدم مهاجمتها بحريا لتحصيناتها القوية مذكرا بالحملات الأوروبية السابقة كالحملة الاسبانية لسنة 1783م وحملة اللود إكسموث سنة 1816م، كما تطرّق إلى تعداد جيش الداي بـ 18 ألف جندي نظامي حوالي 40 ألف جندي متطوع غير مدرّب وغير منظم لا علاقة له بالتكتيك الحربي، واقترح أن تكون الحملة مشتركة بحرية وبرية بتعداد 25 ألف جندي و1500 فارس وأما عملية الإنزال اقترح نقطتين مع تقسيم الجيش إلى قسمين، قسم ينزل في منطقة سيدي فرج ب 15 ألف جندي والآخر ينزل في وادي الحراش بتعداد 10 آلاف جندي، أما الأسطول البحري ينقسم إلى قسمين الأول يهجم على مدينة الجزائر بهدف جلب الانتباه، ليتمكن القسم الثاني بمهاجمة مدينة عنابة ثم الزحف نحو قسنطينة وفي نفس الوقت يتم مهاجمة مدينة وهران، وهكذا يضمن عدم انضمام قوات المقاطعتين لمساعدة مدينة الجزائر[94].

3-8- مشروع كليرمون تونير Clermont Tonnerre 14 أكتوبر 1827م:

في الحقيقة اعتمد الكونت كليرمون تونير على تقرير الضابط بوتان، رأى في خطته أن الحملة الفرنسية على الجزائر ضرورية تحمل في طياتها صبغة دينية كم وصفها بحرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لينفّذها الملك الفرنسي، احتوى التقرير وصفا للحالة الاقتصادية التي كانت عليها الجزائر وأن لها موانئ مهمة تغري التجّار، ومناجم الحديد والرصاص وخزينة تحتوي على 150 مليون فرنك، كما أوصى بإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية بالجزائر لدغدغة عواطف الجنود[95].

---

[94]- محجوبي زهرة، **مرجع سابق**، ص 96.

[95]- سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ..، **مرجع سابق**، ص 26.

أما بخصوص المشروع أكّد فيه كليرمون تونير على ضرورة أن يكون الهجوم برياً بدل الهجوم البحري، ويكون الإنزال في منطقة سيدي فرج وعن وقت الحملة اقترح التوقيت أن يكون بين شهري أفريل وجوان وتوقع أن تدوم الحملة ستة أسابيع، يشارك فيها 33 ألف جندي، أما عن نفقات الحملة قدّرها بحوالي 50 مليون فرنك، وعلى أن يكون الاحتلال احتلالا كليا طويلة المدى ويكون في سنة 1828م بسبب أن أوروبا تعيش في سلام وأن الرأي العام الفرنسي مهيأ لها، وبعد مناقشة مجلس الوزراء للمشروع في 11 أكتوبر 1827م قرر عدم تنفيذه[96].

3-9- مشروع دي لا فروني de la Ferronays 19 جانفي 1828م:

لم يأت بالجديد في مخططه وإنما أكّد على المعلومات التي وردت في المشاريع السابقة، بحيث يرى عدم جدية الحصار البحري المضروب على مدينة الجزائر، مؤكدا على نجاح الحملة البرية باعتبارها الحل الوحيد لتفويت الفرصة على انجلترا، كما تطرق في تقريره بالإسراع في احتلال الجزائر لموقعها الاستراتيجي في البحر المتوسط، وعليه يجب طرد الأتراك وإعادة بناء الجزائر وجعلها مستعمرة فرنسية، محذرا فرنسا من فشل الحملة متخوفا من ردة فعل انجلترا وعليه اقترح أن تكوم الحملة العسكرية مشتركة مع انجلترا وروسيا ومصر[97].

3-10- مشروع اللجنة العسكرية 10 أكتوبر 1828م:

قام وزير الحربية الفرنسية ديكو Decaux بتشكيل لجنة عسكرية خماسية يترأسها لوفيردو وتتكون من البارون بيرج، الجنرال فالازي، الأميرال ماكو، توبيني، ورونولت، استفادت هذه اللجنة من الوثائق والتقارير من المشاريع العسكرية السابقة[98]، من أجل التحضير للحملة العسكرية ضد الجزائر وتضمن التقرير عدة محاور أساسية منها: أهداف الحملة، تشكيلات الجيش البري والبحري، قيادة الأركان والمصالح الإدارية المشاركة، وقطع

---

[96]- **نفسه**، ص 26، 27.

[97]- فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 568.

[98]- **نفسه**، ص 568.

الأسطول المخصص للنقل، وتحديد نقطة التقاء تشكيلات الحملة، والزمن المناسب لنجاح الحملة، وتقدير النفقات المالية المكلفة للحملة، ونقطة النزول، والعمليات العسكرية التي على الجيش القيام بها في الميدان، فاتفقت اللجنة على أن تكون الحملة في النصف الثاني من شهر أفريل على أن يبدأ الحصار على مدينة الجزائر في أوائل شهر ماي على أن لا تتجاوز مدة العمليات العسكرية شهر أوت، واتفقوا على أن تكون نقطة الإنزال في خليج سيدي فرج، إلا أن الظروف الدولية لم تكون مواتية بسبب انشغال فرنسا بالحرب في المورة اليونانية فتأجل المشروع[99].

3-11- مشروع محمد علي باشا 1829م:

حاول الفرنسيون استعمال محمد علي باشا حاكم مصر بتنظيم حملة تنطلق من مصر لاحتلال الجزائر سنة 1829م، جرت مفاوضات بين محمد علي والقنصل الفرنسي في مصر دروفيتي Drovetti الذي اقترح على الحكومة الفرنسية منذ سنة 1826م أنه بإمكان محمد علي القيام بحملة عسكرية بدلا من فرنسا، بينما تقتصر مهمة فرنسا على مساعدته ماليا ودبلوماسيا، وذلك لتحويل أنظار محمد علي عن سوريا وربطه بمصير البلدان المغاربية، في البداية رفض محمد علي المشروع المقترح عليه لأن اهتماماته كانت متجهة نحو سوريا، لكنه في النهاية اقتنع بعد ما أغراه القنصل الفرنسي من وراء هذا المشروع، أما الحكومة الفرنسية لم تأخذ هذه الخطة محل جد، فواصل القنصل دروفيتي في إقناع حكومته بجدوى هذا المشروع ليعرضه مرة أخرى سنة 1829م على رئيس الوزراء جول دو بولينياك Jule de Polignac[100].

فهذا الإصرار والاهتمام للقنصل دروفيتي لم يُبن من فراغ وإنما لتمتع محمد علي بالإمكانيات المادية والبشرية لمثل هذه المهمة، لأن الجيش المصري قادر على اجتياز الصحراء الممتدة من مصر غربا حتى حدود تونس مرورا بطرابلس الغرب لخبرته في صحاري الجزيرة العربية، وعليه لقي المشروع القبول من طرف بولينياك الذي سوف يخرج

---

[99]- الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص ص 77، 78.

[100]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ..، **مرجع سابق**، ص 178.

فرنسا من مأزق الأزمة بين الجزائر وفرنسا، فكتب بولينياك إلى قنصله الجديد في مصر ميمو Mimaut يأمره باستئناف المفاوضات مع محمد علي باشا، كما أوفد الضابط هورد Huder إلى مصر لمساعدة ميمو لمعرفته باللغة التركية وعلاقته الطيبة مع محمد علي، فقبل محمد علي وتم الاتفاق على قيام محمد علي بحملة على الجزائر وبقية الأقطار المغاربية بقيادة ابنه إبراهيم من دون مشاركة الجيش الفرنسي، وعرضت عليه فرنسا أن تقرضه 10 ملايين فرنك بشرط أن يشرع في تسيير الحملة دون تماطل[101].

وكان القنصل السابق دروفيتي أن عرض على محمد علي أن تدعم فرنسا أسطوله بأربعة بوارج فرنسية، فوقع الخلاف بين الحكومة الفرنسية ومحمد علي حول هذه المسألة باعتبارها إهانة لشرف فرنسا من جهة، ومن جهة أخرى تخوّف فرنسا من اعتراض إنجلترا التي لا يرضيها رؤية أسطول ينافس أسطولها في حوض البحر الأبيض المتوسط، في نفس الوقت كانت فرنسا تسعى لدى الباب العالي لإصداره فرمان يؤيد مشروع محمد علي، في نفس الوقت سعت فرنسا في حال عدم تنفيذ هذه الخطة، أن تعدّل في الخطة فعرض بولينياك مشروعا جديدا على محمد علي يتمثل في تعاون عسكري مشترك بحيث يقوم محمد علي بإخضاع طرابلس الغرب وتونس في الوقت الذي تقوم فرنسا بحملة على الجزائر، إلا أن المشروع فشل والسبب الحقيقي يراه بعض المؤرخين في تدخل انجلترا في المسألة، إذ عارضت أي تغيير في البحر المتوسط وعبّرت عنه أثناء المفاوضات مع محمد علي وطلبت توضيحات من الحكومة الفرنسية مباشرة، كانت اللعبة الدبلوماسية حادة بين باريس ولندن، وعقدت انجلترا العزم على تدمير الأسطول المصري بمجرد خروجه من ميناء الإسكندرية وإبعاد محمد علي عن الحكم، وفي الأخير رأى هذا الأخير في هذا المشروع أنه لا فائدة ترجى منه واشتراكه مع دولة مسيحية في احتلال دول إسلامية أمرا منافيا للدين الإسلامي وتسقط هيبته ومكانته في العالم الإسلامي[102].

---

[101]– جورج داون، **مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829– 1830**، تر: عثمان مصطفى عثمان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2010، ص 24، 25.

[102]– **نفسه**، ص 26، 27.

3-12- مشروع دولا بروتونيير De la Pretonnierre 20 أفريل 1829م:

قدّم دولا بروتونيير خطة عسكرية بناءً على استفسارات طلبها منه وزير الحربية الفرنسي البارون دونوفيل حول الجزائر، تضمنت القيام بحملة عسكرية برية وبحرية في آن واحد على الجزائر، على أن تكون الحملة البحرية متكونة من عمارة حربية من مختلف السفن مع اختيار قادة أكفّاء ذوي خبرة عسكرية في فنون الحرب، مع ضرب التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر، بعدها يتجه الأسطول إلى موانئ وهران وأرزيو وعنابة لضربها والاستيلاء عليها، وأضاف في التقرير بضرورة كسب ود القبائل العربية وشيوخها وإقناعهم بمساعدتنا لتحريرهم من اضطهاد الأتراك، كما اقترح أن تبدأ التحضيرات في شهر ديسمبر لسنة 1829م لتكون جاهزة في شهر ماي سنة 1830م، على أن تكون الانطلاقة من ميناء طولون مرورا بميناء ماهون الاسباني لتسهيل نقل العتاد والجيش[103].

خلاصة:

ما يمكن أن نستخلصه أن التقارير والمعلومات التي كتبت من طرف القناصل والجواسيس والضباط الفرنسيين لها قيمة تاريخية قدّمت لنا صورة شاملة للأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والإحصائية والطوبوغرافية للجزائر، من توتر في العلاقات الجزائرية الفرنسية وسيطرة الطائفة اليهودية على الاقتصاد الجزائري مع ضعف القدرات العسكرية وضعف سياسة الحكام كل هذا أدى بفرنسا الإسراع في احتلال الجزائر.

[103]- فريد بنور، **مرجع سابق**، ص 578، 580.

المحاضرة السادسة

دوافع وأسباب الاحتـــلال الفرنسي للجزائر

تمهيد:

الكثير من المؤرخين يرجعون سبب إقدام فرنسا على احتلال الجزائر إلى حادثة المروحة المشؤومة بين الداي حسين والقنصل دوفال، وفي حقيقة الأمر لم تكن في الواقع إلا ذريعة استغلتها فرنسا، والحقيقة يرجع هذا الاحتلال إلى عدة أسباب مخفية ومعلنة أو بالأحرى الأسباب غير المباشرة وأسباب مباشرة وهي فيما يلي:

1- الأسباب غير المباشرة:

يعود احتلال فرنسا للجزائر إلى عدة خلفيات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ودينية وهي كالتالي:

1- 1- الأسباب السياسية:

كان يرغب شارل العاشر في إيجاد تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر، والتمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك تابعا للإمبراطورية العثمانية.

وتأزمت الأوضاع السياسية الداخلية في فرنسا بعد تولي شارل العاشر الحكم في سنة 1824م، حيث بدأ الصراع الداخلي بين الأسرة الملكية التي صممت على معاقبة الأفراد الذين تعاملوا مع الحكم الثوري الذي وضع حدا لامتيازاتها وبين المعارضة من الجيل الثوري الجديد التي خلقت مصاعب داخلية للملك الفرنسي، وهكذا وجد شارل العاشر نفسه وجها لوجه مع أعضاء البرلمان الجديد الثائرون على الأسرة الملكية، ورأى أن الحل الوحيد للتغلب على الأزمة هو ترضية ثلاثة أطراف:

أولا: رجال الجيش بتشجيعهم على تحقيق انتصار عسكري يعيد لهم الثقة والهيبة الاجتماعية التي فقدوها بعد انهزامهم في أوروبا عام 1815م.

ثانيا: التجار: بخلق تحالف مع التجار الذين جردتهم الثورة من مكانتهم الاجتماعية المرموقة في المجتمع والإمبراطورية قضت على أرباحهم الهائلة غداة انهزام نابليون وإعادة السيطرة البريطانية على التجارة في العالم.

ثالثا: المعارضة: بإسكاتها من خلال إحراز انتصار باهر على داي الجزائر، وتحقيق انتصار سياسي على المعارضة الليبرالية.

وسعت حكومة شارل العاشر إلى إلهاء الرأي العام الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية،كما شجعت الدول الكبرى مثل بريطانيا والنمسا شارل العاشر على القيام بغارة على الجزائر، بحيث يحافظ على عرشه ويبقى في الحكم لمدة أطول، نظرا لأن مصالح هذه الدول كانت في إبعاد فرنسا من أوروبا وتشجيعها على الاهتمام بمناطق أخرى غير أوروبا.

وتطلعت فرنسا إلى تعويض عما فقدته من مستعمرات ومراكز في أمريكا الشمالية والهند وغرب إفريقيا في السنغال مثلا عقب حرب السنوات السبع (1756-1763) ضد بريطانيا، وكذلك بعض الأراضي في أوروبا بعد حروب نابليون[104].

1-2- الأسباب العسكرية:

انهزام الجيش الفرنسي في أوروبا وفشله في احتلال مصر والانسحاب منها تحت ضربات القوات الانجليزية في سنة 1801، وانهزامه مرة أخرى مع نابليون في معركة واترلو Waterloo سنة 1815م وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا، جعل الملك شارل العاشر يفكر في إشغال الجيش بمسائل حيوية والمتمثلة في التوسع في إفريقيا باحتلال الجزائر، وبالتالي يتخلص الملك من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده في فرنسا، وبالفعل فإن الجيش الفرنسي قد انشغل باحتلال الجزائر وأقام سلطة عسكرية متينة[105].

---

[104]- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية** 1962، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1997، ص 83.

[105]- عمار بوحوش، **نفس المرجع**، ص 84.

1-3- الأسباب الاقتصادية:

إن الجوانب الاقتصادية قد لعبت دورا قويا في إقدام فرنسا على احتلال الجزائر، ويظهر هذا بوضوح في الدراسة التي نشرها السيد تاليران Talleyrandفي شهر جويلية من عام 1797م والتي عنوانها " محاولة حول الامتيازات التي يمكن الحصول عليها من جرّاء إنشاء مستعمرات جديدة في الظروف الحالية"، وعليه يمكن أن نلخص خلفيات فرنسا الاقتصادية في احتلالها للجزائر فيما يلي:

- اعتقاد فرنسا أنها ستحصل على غنيمة تقدر ب 150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي.

- تطلع فرنسا إلى ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية وأسواقها التجارية، خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية عام 1825، وهي الحقيقة التي أقر بها وزير الحرب الفرنسي "كليرمون تونير" Clermont Tonnerre في تقريره الذي أرسله إلى شارل العاشر في سبتمبر 1827م، حيث قال:" ... توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا، وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص، وتزخر بكميات هائلة من الملح والبارود، كما توجد في سواحلها ملاحات غنية، وإلى جانب كل هذه الثروات توجد الكنوز المكدسة في قصر الداي، وتقدر بأكثر من مائة وخمسون مليون فرنك"[106].

يذكر أن فرنسا منذ بدأ علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر وهي تستفيد من خيرات البلاد الاقتصادية، حيث كانت قد نجحت فيما مضى بفضل علاقتها الودية مع الدولة العثمانية في تأسيس أول شركة فرنسية للاستثمار المرجان " شركة لانش" في عام 1561م، شريطة عدم تسليح المركز بالسواحل، كما عملت فرنسا على إنشاء مؤسسات تجارية لها بالجزائر وتطلع بعض مواطنيها من تجار مدينة مرسيليا إلى إقامة مراكز لهم على ساحل الجزائر لصيد ولتموين مراكبهم التجارية.

---

[106]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ...، **مرجع سابق**، ص 193.

التخلص من تسديد ديونها المتبقية للجزائر، وتتلخص قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليهوديين بكري وبوشناق بالقنصل دوفال، فكان اليهوديان يقومان بتسديد ما اشترته فرنسا من الحكومة الجزائرية نيابة عنها، بعدما كانت فرنسا من قبل تشتري ما تحتاجه مباشرة من موانئ الجزائر، وعندما طالب الداي حسين بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين اليهوديين على توقيف الدين، وبناءً على ذلك فإن مسؤولية مشكل تعقد الديون وتمثيل مشهد حادثة المروحة تقع على القنصل الفرنسي دوفال وعلى اليهوديين[107].

1-4- الأسباب الدينية:

إن الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوروبية والدولة العثمانية الإسلامية قد انعكس على الجزائر، خاصة بعد التعاون الوثيق بين الدولتين لحماية المسلمين والدفاع عن الإسلام، الأمر الذي دفع بالدول المسيحية في أوروبا أن تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر وفي اسطنبول، وقد تجسدت النزعة الصليبية والتضامن المسيحي ضد الجزائر والخلافة العثمانية وولايتها الإسلامية، في مؤتمري فيينا واكس لاشبيل أين اجتمعت فيهما الدول المسيحية وقررت القضاء على دار الجهاد (الجزائر)، مدعية أن الجزائر تلجأ إلى محاربة المسيحيين في كل مكان.

إحياء المسيحية في إفريقيا بتنصير الجزائر، وهي الحقيقة التي أثبتتها تصريحات وتقارير قادة فرنسا السياسيين والدينيين عشية الغزو، ومن ذلك ما قاله وزير الحرب كليرمون تونير في تقرير إلى الحكومة يوم 14 أكتوبر 1827" يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الجزائريين، أن نجعلهم مسيحيين، لنحقق بذلك نصرا يبدو أن العناية الإلهية تعده لنا"، كما نجد في هذا السياق تصريح الملك شارل العاشر في 2 مارس 1830م بقوله:" ...إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها "[108]، وغيرها من التصريحات التي تؤكد الخلفية الدينية لاحتلال فرنسا للجزائر.

---

[107]- عمار بوحوش، **مرجع سابق**، ص ص 84، 85.

[108]- خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830- 1871**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977، ص 17.

1-5- الأسباب الاجتماعية:

تزايد أعداد سكان فرنسا بفضل تحسن ظروف الصحة والحياة، إذ بلغ عددهم 33 مليونا سنة 1830م، أصبحوا يمثلون عائقا للحكومة فبدأت تفكر في البحث عن مجال لإسكان بعضهم.

2- الأسباب المباشرة:

كتبت جريدة لو مونيتور Le Moniteur- لسان حال الملكيين المتطرفين- الفرنسية تبرّر إقدام فرنسا على احتلال الجزائر، وتذكر أن فرنسا قد أقدمت على ضرب الحصار على الجزائر نظرا للأسباب التالية:

1- أن الداي حسين قد سمح لصيادي المرجان من كل الأجناس بالصيد على الساحل الجزائري، وبذلك إنهاء الاحتكار الفرنسي لهذا النشاط سنة 1826م، وفي ذلك مساس بكرامة فرنسا.

2- أن الداي حسين قد أقدم على تفتيش المؤسسات التجارية العاملة في الشرق الجزائري.

3- أن الداي حسين أجاب بالرفض للوفد الذي ذهب إليه باسم مؤتمر إكس لاشبال.

4- أن الداي حسين لم يعاقب الذين هاجموا السفينة الفرنسية.

5- أن الداي حسين قد فتح التجارة الحرة أمام أوروبا بأكملها.

6- أن الداي حسين منع المؤسسات الفرنسية في القالة من أن تقيم المدافع على الحصن لحماية نفسها من هجومات الجزائريين.

7- أن الداي حسين قد وجه برقية شديدة اللهجة فيها احتجاجا على الحكومة الفرنسية التي لم تسدد الديون المترتبة عليها.

8- إهانة شرف فرنسا بضرب الداي القنصل الفرنسي بمروحته ورفض الاعتذار له[109].

[109]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء... ، **مرجع سابق**، ص ص 260، 261.

مهما اختلفت الآراء حول الأسباب المباشرة لاحتلال الجزائر والتي عددتها جريدة لومنيتور المتطرفة بأن الداي حسين قد منع وحرّم وعاقب ورفض كل ما له علاقة بالتجارة والمصالح الفرنسية، لكن يبقى السبب واحدا.

2-1- ضربة المروحة وقطع العلاقات مع فرنسا:

أحكمت فرنسا خطة غزوها للجزائر بعد أن تأكدت من التفاوت الحضاري والتقني بين البلدين، ورجح لديها احتمال انتصارها، فأخذت تبحث عن سبب إعلان الحرب، فأمرت قنصلها العام في الجزائر بيير دوفال بأن يستفز الداي حسين بطريقة ما حتى يقوم بتصرف خاطئ تتخذه فرنسا ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر[110].

في هذه الظروف وقعت ما اشتهر في الأدبيات التاريخية الفرنسية بحادثة المروحة، وكثير من المؤرخين والكتّاب يعتبرونها هي السبب الرئيسي التي اتخذتها فرنسا لإعلان الحرب لاحتلال الجزائر، وهي دعوى باطلة غير مبنية على أسس منطقية، لأن الحقيقة من وراء ذلك أن فرنسا في تلك الفترة كانت غارقة في مشاكل كثيرة، تداعيات الثورة الفرنسية في أوروبا وعواقب الحروب النابوليونية ومرارة الهزيمة العسكرية، سقوط الإمبراطورية وأفول نجم فرنسا وتدهور مكانتها في العالم، زيادة على الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل فرنسا والذي أدى بها إلى تخلّفها عن ركب إنجلترا بسبب تفوقها السياسي والعسكري في البحار والقارات، فكل هذه المعطيات إذن تراكمت كلها في حادثة المروحة.

وكانت هذه المهمة سهلة بالنسبة إلى دوفال، وعلى هذا الأساس جاء هذا الأخير عشية عيد الفطر في 29 أفريل 1827م، ليؤدي زيارته للداي كما جرت العادة بحضور قناصل الدول الأوروبية، فسأل الداي القنصل الفرنسي عن عدم إجابة الحكومة الفرنسية عن برقياته العديدة بخصوص الديون، فكان رد القنصل وقحا قائلا:" إن حكومتي لا تتنازل

---

[110]- شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار 1827- 1871**، المجلد 1، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 50.

لإجابة رجل مثلكم"[111]، وتمادى القنصل في استفزازه وسوء أدبه، لم يتمالك الداي حسين نفسه باعتبارها إهانة له وفي مجلس رسمي وأمام أعضاء ديوانه وبحضور القناصل الأجانب، فضربه بالمروحة ضربة واحدة، إلا أن القنصل دوفال ادعى أنها ثلاث ضربات، وحسب سيمون بفايفر اللطم غير كاف بل كان بإمكان الداي حسين أن يأمر بإعدامه في الحين[112]، ومهما تضاربت الروايات والأقاويل حول القضية، إلا أن القنصل دوفال استطاع رفع القضية إلى الحكومة الفرنسية فاتخذتها ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر.

وفي الحقيقة أن دوفال قام بتنفيذ هذه المؤامرة بدقة بحجة لإعلان الحرب على الجزائر، فكانت حُلم فرنسا الذي انتظرته منذ قرون وعليه نستنتج ما يلي:

– كون القنصل دوفال شخص بارع في أعمال الرشوة والغش والمؤامرات والدسائس.

– المدة التي قضاها في الجزائر منذ تعيينه قنصلا سنة 1815م بعد مؤتمر فيينا مباشرة إلى غاية 1827م، فهي كافية لدراسة المجتمع الجزائري وتحليل شخصية الداي حسين والتعرف على أوضاع الجزائر في كل المجالات.

– طلب الداي حسين من فرنسا بسحب قنصلها من الجزائر سنة 1827م، لكن فرنسا بدلا من القيام بذلك قامت بإرسال سفنها الحربية إلى ميناء الجزائر كنوع من التهديد[113].

وبعد فترة من هذه الحادثة في 15 جوان 1827م أرسلت فرنسا قوة بحرية تحمل تهديدا إلى الجزائر، تطالب فيه بوجوب تقديم اعتذارا عما حدث لقنصلها الذي يعتبر إهانة لشرفها وشرف ملكها، وعدم الامتثال لهذا الطلب في ظرف الأربع والعشرين ساعة فإن فرنسا تعتبر نفسها في حالة حرب ضد الجزائر، فرد الداي حسين على هذا التهديد بأن شروط مثل هاته لا يمكن أن تصدر عن رجال دولة مسؤولين ومتبصرين... إذا كنتم تريدون توضيحات عن

---

[111]– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط.خ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 142.

[112]– سيمون بفايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو، المجلد الأول، ط.خ، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 33، 34.

[113]– الغالي غربي، **مرجع سابق**، ص 81.

المسألة ابعثوا برجل حصيف ليتحرى الحقيقة وسيكتشف أن هذا القنصل الخبيث لا يلبق لا بنا ولا بكم[114].

2-2- مسألة الديون:

هناك علاقة وطيدة في قضية الديون بين المنازعة الاقتصادية وحادثة المروحة، إن مسألة الديون حقيقية واقعية لا سبيل إلى إنكارها، كانت فرنسا تعتمد بالأساس في سنوات ثورتها على مادة القمح الجزائري لمواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وبغرض تزويد الشعب الفرنسي المهدد بالمجاعة الذي كان محاصرا من قبل الدول الأوروبية، غير أن الديون إستُغلت بصورة انتهازية من طرف وزير الخارجية الفرنسي شارل موريس تاليران Charles Maurice Talleyrand (1754- 1838م) الذي اعتبرها فرصة سانحة للثراء وذريعة لتبرير الحملة العسكرية ضد الجزائر، وهذا ما عبّر عنه حمدان خوجة في المرآة بأن أصل الحرب المشؤومة وأحد أسبابها الأولى تعود إلى مسألة الديون[115].

ففي فترة الثورة الفرنسية تدعّمت العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد اعتراف الجزائر بحكومة الثورة، في الوقت الذي كانت تحاصرها بقية الدول الأوروبية كما أسلفنا، بحيث قدّمت الجزائر تسهيلات لفرنسا للتموين من الموانئ الجزائرية وفتح الأسواق أمام التجارة الفرنسية، بالإضافة إلى مساعدات مهمة تمثلت في القروض المالية، منحت الجزائر قرضا لحكومة الثورة فتدخلت إنجلترا محاولة تحريض الداي حسن باشا على قطع علاقاته بفرنسا لكنه رفض، فمنح الداي قرضا آخرا بمبلغ 250 ألف فرنك لشراء القمح من عنابة وقسنطينة وسمح للسفن الفرنسية بالتزوّد من الموانئ الجزائرية، وأمر رجال البحرية الجزائرية بعدم التعرّض للسفن الفرنسية، فازدادت طلبات حكومة الثورة لشراء القمح فأقرض الداي مبلغ مليون فرنك بدون فوائد[116].

---

[114]- جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، **مرجع سابق**، ص ص 462، 463.

[115]- حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 139.

[116]- عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، ط1، دار الامة، الجزائر، 2011، ص 441.

بقيت قضية القمح مستمرة لعدة سنوات فكان تعامل فرنسا مع الجزائر يتم بطريقة مباشرة، ثم اقترحت فرنسا تغيير طريقة الدفع بالاستعانة باليهوديين بكري وبوشناق ليقوما بدفع الديون عن الحكومة الفرنسية فظهرت من خلالها سوء نية فرنسا، سمح الداي لليهوديين وبحماية قنصلية فرنسا بالجزائر بتصدير القمح إلى فرنسا في سنوات الثورة الفرنسية بواسطة الوكالة الإفريقية، كان بوشناق يقيم في مدينة الجزائر وبكري كان مقيم في فرنسا، كانا يشتريان القمح بثمن منخفض ويبيعانه لفرنسا بثمن مرتفع، وبالتالي أصبحت التجارة الخارجية يسيطر عليها اليهود والتجارة الداخلية في عهد الداي حسين تحت سيطرة اليهوديين بكري وبوشناق[117].

ومع مرور الوقت عجزت فرنسا دفع مستحقات التاجرين فتراكمت الديون حتى وصلت إلى ثمانية ملايين فرنك، لكن الحكومة الفرنسية لم تسمح بدفع إلا نصف المبلغ، وفي سنة 1819م طالب اليهوديان فرنسا دفع مبلغ الذي ارتفع إلى 24 مليون فرنك كثمن القمح، شكلت الحكومة الفرنسية لجنة لتسوية القضية فخفضت المبلغ من 24 مليون إلى سبعة ملايين فرنك، فوافق اليهوديان وصدر اعتراف رسمي من الحكومة الفرنسية في قرار صادر في 28 أكتوبر 1819م، ووافق البرلمان عليه في 24 جوان 1820م، كما وافق الداي حسين على هذه التسوية مُطالبا بدفع المستحقات في وقت الحاجة لخزينة الدولة الجزائرية[118].

ورغم التسوية ظلت مسألة الديون عالقة بسبب استغلال بعض الشخصيات الفرنسية واليهودية لإفساد العلاقة بين الجزائر وفرنسا، كالقنصل الفرنسي دبوا تانفيل الذي عمل على زعزعة العلاقة فاتفق مع بكري على تفعيل قضية تصفية الديون في فرنسا ليستولي على المبالغ، في حين كان دوفال بمناوراته الدنيئة يمنع وصول رسائل الداي حسين إلى فرنسا ليعمق الخلاف بين الجزائر والحكومة الفرنسية، فدفعت الحكومة الفرنسية مبلغ بـ 4.5 مليون

---

[117]– يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500– 1830م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 108، 109.

[118]– عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 443.

فرنك لبكري وحجزت 2.5 مليون فرنك في صندوق الودائع لصالح الدائنين من أفراد عائلة بكري وتجار مرسيليا، وكان الداي حسين يعلن بأنه من الدائنين لأن معظم الحبوب التي زوّد بها البهوديان فرنسا ولم يدفع قيمتها كانت حبوب من الدولة الجزائرية، وهكذا لم ينل الداي حسين أي شئ من المبلغ الذي دفعته الحكومة الفرنسية لهذين اليهوديين، حيث غادر بكري الجزائر وتوجه إلى فرنسا بعد أن قبض مبلغه وتجنّس بالجنسية الفرنسية واستقر بباريس، أما بوشناق رحل إلى مدينة ليفورنيا بإيطاليا ليختفي عن الأنظار، وتركا الداي حسين يتخبط في مشاكل مع الدولة الفرنسية، وإذا كانت فرنسا مدينة للتاجرين اليهوديين فإن هذين الآخرين مدنين للدولة الجزائرية، وبذلك أقحمت الجزائر في قضية الديون، تدخل الداي لدى الحكومة الفرنسية ليطلب تسديد الديون، مما أدى إلى نشوب أزمة حادة انتهت بحادثة المروحة.

خلاصة:

وبناء على ما تقدم نستشف بأن قضية ضربة المروحة ليست السبب الذي دفع بالملك شارل العاشر بتنظيم حملة عسكرية ضد الجزائر، وإنما هي أسباب اقتصادية محضة تتبعها أسباب أخرى، وفرنسا كانت تعلم ما للجزائر من خيرات وثروات، زيادة على الدّين الذي كان للجزائر على فرنسا، وعليه فإن حادثة المروحة ما هي إلا ذريعة افتعلتها فرنسا لتبرر احتلالها للجزائر وإجبار الداي حسين على الاستسلام.

المحاضرة السابعة

مراحل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م

تمهيد:

بعدما أيقنت فرنسا بأن غزو الجزائر بات أمرا ضروريا، أصبحت تبحث عن المبررات لإتمام خطتها، فأوجدت قضية المروحة كذريعة لاحتلال الجزائر، بعدما توترت العلاقات بسبب الديون، وهو التوتر الذي انتهى بالحصار الفرنسي البحري للجزائر سنة 1827 ثم بالاحتلال سنة 1830.

1- مرحلة الحصار البحري الفرنسي للسواحل الجزائرية 1827-1830م :

وصل خبر حادثة المروحة إلى فرنسا في الوقت الذي تصاعد فيه نشاط المعارضة ضد الملك شارل العاشر، فحاولت المعارضة استعمالها ضد الحكومة، لكن هذه الأخيرة تحركت لتجعل من الحادثة ورقة رابحة في يدها لا في يد المعارضة.

وكان رد فرنسا على حادثة المروحة إرسال قطعة بحرية من أسطولها أمام الجزائر، وقد وصلت أول قطعة يوم 12 جوان 1827م، وصعد القنصل دوفال سفينة القبطان، جاء كولي يطلب من الداي حسين أن يأتي شخصيا إلى السفينة ويعتذر للقنصل، ولما كان معروفا مسبقا أن الباشا لن يرضى بذلك فقد اشتملت تعليمات كولي على اقتراحات أخرى هي:

- أن يستقبل الباشا القبطان ورئيس أركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الأجانب ويعتذر أمامهم إلى دوفال.
- أن يرسل بعثة برئاسة وكيل الحرج (وزير البحرية) إلى قطعة الأسطول الفرنسي ليعتذر باسم الباشا إلى القنصل.
- أن يرفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية، بما في ذلك القصبة وتطلق مائة (100) طلقة مدفع تحية له.

وكانت تعليمات كولي تقتضي أنه في حالة قبول الباشا أحد الحلول الثلاثة يتقدم إليه بعد ذلك بعدة مطالب فرنسية تتضمن:

– دفع التعويضات.

– معاقبة الجزائريين المسؤولين عن الأضرار بالمنشآت الفرنسية.

– تسليح هذه المنشآت في المستقبل.

– إعلان الجزائر أنه لا حق لها في دين بكري.

– في حالة عدم استجابة الداي لواحد من هذه الاقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر[119].

أرسل كولي في 15 جوان 1827 عن طريق قنصل سردينيا في الجزائر الكونت داتيلي D'Attili – الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية بعد انسحاب دوفال– إنذارا للداي حسين، وأعطاه أجل قبول هذه الاقتراحات أربعة وعشرين ساعة فقط (24 ساعة)، وكان رد فعل الداي أنه لم يفهم فبدلا من أن تعين فرنسا قنصلا جديدا وتكتب إليه مباشرة لجأت إلى إرسال إنذار مضحك مع ضابط بحرية[120].

ورغم هذه التهديدات إلا أن الداي حسين وجه رسالة إلى القنصل دوفال جاء فيها:" لم يرغمكم أحد على مغادرة الجزائر، وأنه إذا أردتم الاحتفاظ بالشروط القديمة كاملة، فيمكنكم الرجوع إلى الجزائر كما خرجتم منها"[121]، وبنفس المعاملة استقبل الداي الرعايا الفرنسيين المقيمين بالجزائر وأخبرهم بما يحدث.

وفي نفس الشهر الذي أعلن فيه الحصار كلّف الجنرال لوفيردو Loverdo أن يُعد مشروعا يحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية وإحصائية وعسكرية بهدف القيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، وفي ظرف ثلاثة شهور أكمل المشروع وأصبح جاهزا، لكن الحكومة الفرنسية لم تقرر الحملة واكتفت بالحصار نظرا لقيام الثورة باليونان وتواجد الأسطول الفرنسي بالمنطقة ونقص مخزون الأسلحة، فاكتفت بطلب الاعتذار فقط[122].

---

[119]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، **مرجع سابق**، ص 24، 25.

[120]– جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مج 4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص ص 74، 75.

[121]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ..، **مرجع سابق**، ص 183، 184.

[122]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، **مرجع سابق**، ص 24.

وعندما انقضى أجل الإنذار بدون رد أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في 16 جوان 1827 في غياب الأسطول الجزائري الذي كان في طريقه إلى اليونان لمساعدة الدولة العثمانية في معركتها البحرية نفارين Navarin، وقد ظل إعلان الحرب من فرنسا على الجزائر في شكل حصار بحري لميناء الجزائر، بغرض تحقيق عدة أهداف نوجزها فيما يلي:

1- قطع التموين عن الجزائر، وبالتالي إضعاف قوتها الاقتصادية المعتمدة على النشاط البحري.

2- إغلاق الباب أمام أي تدخل محتمل من طرف الدولة العثمانية أو الدول الأوروبية المنافسة لها.

3- إعطاء الوقت الكامل لمساعيها الدبلوماسية لإقناع الدول الأوروبية بجدوى احتلال الجزائر مدعية أن ذلك في صالح أوروبا والمسيحية عموما.

وهكذا سد الفرنسيون في وجه الجزائريين جميع طرق المواصلات البحرية، بحيث لم يحدث نقص في المنتوجات الأوروبية التي كانت تستورد، بل السكان بدءوا يتذمرون من قلة الكسب، وكرد فعل على هذا الحصار أمر الداي حسين أحمد باي قسنطينة بالاستيلاء على المنشآت الفرنسية الواقعة في إقليمه، وفي بعض الروايات التاريخية تقول أن الداي حسين أمر بتخريبها[123].

حاول البحارة الجزائريين بقيادة عمر باشا فك الحصار، فقاموا بمعارك بحرية منها محاولة 4 أكتوبر 1827، أين تمكنت 11 قطعة بحرية تحمل متطوعين من الخروج من ميناء الجزائر، فخرجت خمس قطع فرنسية من خط الدفاع لتواجهها، وجرت معركة واشتباكات عنيفة بين الطرفين دامت ساعتين، لتنتهي بانسحاب الجزائريين وعودة القطع الفرنسية إلى خط دفاعها[124].

---

[123]- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية، **مصدر السابق**، ص 37.

[124]- ناصر الدين سعيدوني، الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827- 1830، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد5، 1979، ص 36، 37.

ومن جهة أخرى تواصلت القرصنة البحرية بين فرنسا والجزائر، ففي شهر أوت من عام 1827 استولى الرياس على سفينتين فرنسيتين في مياه وهران وأسروا بحارتهما، لكن الفرنسيين تمكنوا في 25 أكتوبر من نفس السنة من إغراق أربع سفن غرب مدينة الجزائر، وفي 22 ماي 1828 أغار الفرنسيون على ميناء وهران وتمكنوا من استرجاع إحدى سفينتيهم اللتين وقعتا بيد الجزائريين.

وبعد هذه الاصطدامات والمناوشات البحرية رابطت حوالي 12 قطعة بحرية قبالة الموانئ الجزائرية وشكلت دورية بحرية من 6 قطع أخرى، وكلفت قطع أخرى بمراقبة الملاحة وتوفير الأمن لها، ووضعت قطع أخرى في حالة استنفار دائم، وهكذا أصبح عدد القطع البحرية المكلفة بالحصار حوالي خمسين قطعة.

2- إعداد الحملة العسكرية على الجزائر:

بقي الحصار مستمرا على الجزائر وبالمقابل فتحت الحكومة الفرنسية باب المفاوضات مع الجزائر كان الهدف منها إلغاء الحصار بطريقة مشرفة، وتنفيذا لأوامر الحكومة الفرنسية بعثت عدة وفود لغرض استئناف المفاوضات، منها البعثة التي أرسلها دولا بروتونيير De La Bretonniere – قائد الحصار الجديد خلفا للضابط كولي- التي ذهبت إلى الجزائر بقيادة الضابط بيزار Bézard في 29 أفريل 1828، ولكن البعثة فشلت في التفاوض مع الداي حسين لإصراره على عدم دفع تعويضات إلى فرنسا، وتلا ذلك بعثة أخرى بقيادة نفس الضابط التي فشلت أيضا لأن الباشا رفض أحد الشروط الفرنسية الأساسية وهو إرسال وزير من حكومته إلى باريس للاعتذار، واشترط أن يفعل ذلك فقط بعد توقيع معاهدة صلح مع فرنسا[125].

وفي رسالة بعثها دولا بروتونيير إلى وزير البحرية الفرنسية في 24 أفريل 1829م جاء فيها:" إنه على يقين من أن الحصار الذي ضرب على موانئ الجزائر، مهما كان مشددا، فإنه غير كاف لأن تأثيره سيكون ضعيفا في الشعب الجزائري الذي يمارس تجارة بحرية، وأن

[125]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، **مرجع سابق**، ص 28.

موقع هذا الشعب بين المملكتين (المغرب وتونس)، يساعده على تلقي كل المواد التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق البحر"[126]، ولهذا اقترح مضاعفة القوات الفرنسية لإثارة مخاوف سكان الجزائر على الداي مما يسبب أزمة داخلية تؤدي إلى الفوضى.

ونظرا لتفاقم الوضع بفرنسا ووجود معارضة قوية داخل البرلمان، وما سببه الحصار من خسائر اقتصادية، قررت الحكومة الفرنسية فتح باب التفاوض من جديد مع الداي حسين، فأوفدت في 30 جويلية 1829م دولا بروتونيير إلى الجزائر للتفاوض على متن سفينة لابروفانس La Province، بحيث قدّم قائد الحصار من الداي شروطا تمثلت في:

- رد الاعتبار للشرف الفرنسي المهان بإرسال وفد رسمي إلى باريس للاعتذار.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين.
- إنهاء فرض الإتاوة.
- إنهاء القرصنة.

فما كان جواب الداي حسين إلا الرفض مخاطبا بأن لدي البارود والمدافع، وبعد فشل المفاوضات انسحب الوفد وأثناء عودتهم حدث وأن اقتربت السفينة من تحصينات ميناء الجزائر، ظن رجال المدفعية الجزائرية أنها تريد قصفهم، بادروا بقصفها لإرغامها على الابتعاد، فأصيبت ببعض العطب وذلك في 10 أوت 1829م، أثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة في أوساط البرلمان الفرنسي فاتخذتها فرنسا إنذارا من قبل الجزائر، وتأكدوا باستحالة إيجاد حل للمسألة وأن الحل الوحيد هو إعداد حملة عسكرية، وتجدر الإشارة أن الداي حسين تبرّأ من الحادثة وعبّر عن أسفه، وعاقب وزير الحربية وقائد الميناء[127].

---

[126]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ...، **مرجع سابق**، ص 188.

[127]– سيمون بفايفر، **مصدر السابق**، ص 55.

وخلال مدة الحصار البحري على مدينة الجزائر التي دامت ثلاث سنوات، ضعفت القوات الفرنسية ونفذت ذخيرتها وانقرض معظم جيش الضابط كولي Collet، وتكسّرت أكثر المراكب وكانت خاتمة أمر هذا الضابط بقتله، وفي هذا الصدد ذكر بعض المؤرخين أن النفقة على هذا الحصار قدّرت بأكثر من عشرين مليون فرنك (20 مليون فرنك)، وبالمقابل الجزائر لم يلحقها أي ضرر كبير.

إن تكاليف الحصار الباهظة سواء من حيث تكاليف الأسطول أو من حيث الخسائر التي لحقت التجارة الفرنسية التي كانت مهددة بسبب عدم توقف القرصنة الجزائرية بصفة نهائية إلى درجة أن التجارة الفرنسية عادت إلى أسلوب القوافل، أو من حيث الخسائر البشرية من جهة وأمام فشل المفاوضات مع الجزائر، وإصرار فرنسا على مطالبها بإرغام الداي حسين على الاعتذار ودفع تعويضات وإصراره بدوره على الرفض، جعلت فرنسا ترى عدم نفع حصارها البحري على الجزائر، وتخطط لتنتقل إلى الخطوة الثانية المتمثلة في تحويل الحصار إلى حملة.

يذكر بعض المؤرخين أنه من اليوم الذي أمر ملك فرنسا شارل العاشر من الضابط كولي Collet ضرب حصار بحري على مدينة الجزائر شرعت فرنسا في إعداد مشروع الحملة، وأعدت عدة مشاريع من طرف جنرالات ونواب، حيث ارتفعت بعض الأصوات تنادي بالعودة إلى مشروع نابليون المتعلق باحتلال مدينة الجزائر، ومن بين الذين كانوا متحمسين للمشروع نجد المركيز كليرمون تونير وزير الحربية الذي قدم تقريرا إلى الملك يوم 14 أكتوبر 1827، يتضمن مشروعا مفصلا لعملية غزو مدينة الجزائر جاء في مقدمته " الحرب قائمة مع مدينة الجزائر، كيف يمكن إنهاؤها بشكل مفيد ومجيد لفرنسا ؟ هذه هي المسألة التي يجب فحصها"[128].

[128]– محمد الشريف ساحلي، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد هناد، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص 68.

كما جاء في تقريره أنه لا فائدة من الحصار، موضحا في ذات الوقت الأسباب التي تحتم الحملة و تستجيب لـ "حق" الملك في القيام بها، كما استعرض في تقريره الوسائل التي لابد منها لانجاز العملية. يذكر أن المشروع الذي تقدم به وزير الحربية كليرمون تونير إلى ملك فرنسا شبيه بالمشروع الذي اقترحه الجاسوس بوتان في عهد نابوليون، ولكن في نهاية الأمر اتبعوا خطة بوتان –السابقة الذكر.

ومن جهته أعد رئيس مجلس وزراء فرنسا بولينياك Polignac خطة تتمثل فيما ينبغي أن تكون عليه الجزائر بعد الانتصار عليها، واقترح على مجلس الوزراء حرية الاختيار بين البدائل التالية:

- إبقاء الداي في حكم الجزائر على أن تشرف فرنسا عليه من الناحية العسكرية فيحدد له عدد الجيش والأسطول الذي يستطيع الداي الاحتفاظ به.
- إعادة الجزائر إلى الدولة العثمانية لإنشاء حكومة منظمة فيها تضمن احترام الجزائريين للملاحة في البحر الأبيض المتوسط.
- أن تتقاسم فرنسا الجزائر مع الدول الأوروبية وخاصة انجلترا.
- أن تحتل فرنسا الجزائر بصورة دائمة وأن تستغلها اقتصاديا[129].

وبالطبع فإن الاقتراح الرابع هو الذي وقع عليه الاختيار بعد الانتصار الفرنسي على الداي وزوال حكومته.

وبناءً على ما تقدم وبعد ثلاث سنوات من الحصار وفشل فرنسا في إرغام الداي على تقديم الاعتذار، ومن تصاعد قوة المعارضة الليبرالية لنظام شارل العاشر، قرر مجلس الوزراء الفرنسي يوم 31 جانفي 1830 تنظيم حملة على مدينة الجزائر، حدّد الوزير الأول بولينياك أهدافها بقوله: " هناك مصلحتان متمايزتان، ولكنهما متصلتان اتصالا وثيقا، قد أدتا إلى الاستعدادات التي جرت في موانئنا، إحداهما تخص فرنسا بالدرجة الأولى: وهي الثأر

[129]– أحمد الجزائري، **كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان**، تقديم : صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1962، ص 10، 11.

لشرف رايتنا، والحصول على تصحيح الأخطاء التي كانت السبب المباشر في النزاع، وللمحافظة على ممتلكاتنا من الاعتداءات وأعمال العنف التي تعرضت لها في كثير من الأحيان، ثم الحصول على تعويض مالي، بالقدر الذي تسمح به دولة الجزائر، على مصاريف الحرب التي لم نتسبب فيها. أما المصلحة الثانية التي تهم البلاد المسيحية عامة، فهي إلغاء الرق والقرصنة ودفع الجزية التي مازالت أوروبا تدفعها إلى ولاية الجزائر"[130].

خلاصة:

مهما كانت الأسباب التي دفعت بفرنسا إلى فرض حصارها على السواحل الجزائرية، فهو في حقيقته ليس سوى حلقة من حلقات المخططات والمشاريع الفرنسية للاستيلاء على الجزائر، ورغم طول مدة الحصار فإن الحكومة الفرنسية لم تصل إلى نتيجة تمكنها من تنفيذ حُلمها القديم، فصعّدت من لهجتها لتعلن الحرب على الجزائر.

[130]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، **مرجع سابق**، ص 33.

المحاضرة الثامنة

الاستعدادات الفرنسية للحملة على الجزائر

بعد أن تقررت الحملة بصفة فعلية، عملت فرنسا في اتجاهين وهما:

1- تحضير الحملة بشريا:

تم تعيين كل من دوبري Duperré قائدا للقوات البحرية والبارون ديني معتمدا عسكريا، وكلّف الجنرال فالازي بالهندسة، كان على هؤلاء أن يشرفوا على عمليات التحضير.

وعلى صعيد آخر عين الجنرالات قبل انطلاق الحملة بشهرين ليتمكنوا من التعرف على جنودهم، حيث عين "بيرتزين"Berthezéne على رأس الفرقة الأولى التي عسكرت بين طولون ودراغينيون، وعيّن لوفيردوLoverdo على رأس الفرقة الثانية التي عسكرت بين طولون وإكسAix ، ووضع الدوق كارس على رأس الفرقة الثالثة التي عسكرت في إكس، علما أن مجموع جنود الفرق الثلاث كان أكثر من 25 ألف رجل، أما الخيالة فحوالي 500 فارس، عسكروا في تارسكون Tarascon ، بينما عسكرت الهندسة التي كانت تتكون من 8500 رجل في ضواحي أرل، واحتلت المدفعية التي بلغ عدد رجالها 2500 أبواب طولون، وأخيرا عين وزير الحربية نفسه الكونت دوبورمون De Bourmont على رأس الحملة، وكان تحت إمرته 17 ضابطا برتبة جنرال[131].

ومن جهة أخرى ضمت الحملة إلى جانب العسكريين هيئة من مترجمين بلغ عددهم 30 مترجما أتوا من الأسلاك القنصلية أو من الكنيسة أو من التعليم أو من مواليد المشرق العربي من سوريا ولبنان وتونس أمثال جورج غروي، إبراهام دنينوس، جوني فرعون، شوصبوا، روزيتي، غبريال زكار، ليون إياس وغيرهم[132] ، كما رافق الحملة الفنانون والمحامون والصحافيون والمؤرخون وأدباء ورجال الصحة والكتاّب، ومن بين هؤلاء الكتاب الذين اتخذوا صفة مراسلي الحرب نجد توسان ميرل Toussaint Merel الذي تابع الحملة العسكرية

---

[131]– العقيد م. فرنال، **حملة إفريقية 1830**، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص 16.

[132]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص ص 144، 152.

بصفته كاتبا خاصا لدوبرمون، وأنشأ أول صحيفة " مجلة الجزائر" لا غازيت دالجي la Gazette d'Alger التي توقفت في عددها الثاني[133]، ومن بين الرسامين المعتمدين لدى وزارة البحرية الفرنسية نجد جيلبرت Gilbert وتانور Tanneur وغودين Gudin وغيرهم، ومن بين الذين مثّلوا المسرح الفرنسي كولومبون Collombon، الذي منحته الحكومة الفرنسية بتسيير مطبعة ج.توسان J. Toussaint التي أصدرت جريدة "ليستافات دالجي" l'Estafette D'Alger مع بداية الاحتلال، لم يصدر منها سوى عددان[134]، وكان منهم من دفع للجيش أموالا لكي يسمح له بالمشاركة من التجاّر الغشاشون وعصابات الأشرار الدوليين المتعطشين للتدمير والفساد والمغامرون[135].

2- تحضير الحملة ماديا:

تطلّب تحضير الحملة ماديا حوالي ثلاثة أشهر من العمل ليلا نهارا، حين أصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي، تجمعت 100 بارجة تملكها الدولة و500 سفينة تجارية في مرسيليا وطولون، كما جمعت كمية ضخمة من الملابس ومن الخيام والأغطية وأغذية شهرين والأعلاف والعربات أدوات شق الطرق والأخشاب والحواجز وكمية ضخمة من الخراطيش (5 ملايين خرطوشة) وأكثر من 280 ألف كلغ من البارود وعتاد التلغراف، وحملت الحملة معها كذلك مطبعة ...الخ. علما أن هذا العتاد الضخم كان كله جاهزا على متن السفن قبل 15 ماي[136]، وبعد أن أضحى كل شئ جاهزا خاطب دوبرمون الجنود :" إن الإهانة التي تعرضت لها الراية الفرنسية تدعوكم إلى الذهاب إلى ما وراء البحار وللانتقام منهم، وبإشارة من العرش تحمّستم كلكم لحمل السلاح... إن قضية فرنسا هي قضية الإنسانية جمعاء، فأظهروا جدارتكم بمهمتكم في القتال"[137].

---

[133]- شارل أندري جوليان، **مرجع سابق**، ص 89.

[134]– الغالي غربي وآخرون، **مرجع سابق**، ص 99.

[135]– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 22.

[136]– الغالي غربي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ص 91-100.

[137]– بيار بيان، **سطو على مدينة الجزائر تحقيق في عملية نهب جويلية 1830**، منشورات الشهاب، 2013، ص 88.

وفيما يلي نستعرض تشكيلات الجيش الفرنسي البري والبحري بالتفصيل:

تم تنظيم فرق المشاة التابعة للجيش الفرنسي إلى ثلاثة فرق وهي كالتالي:

الفرقة الأولى: أسندت قيادة الفرقة الأولى للجنرال بيرتزان Berthezene متكونة من ثلاثة ألوية اللواء الأول للعميد بوري دو مورفان، والثاني للعميد أشار والثالث للعميد كلوي.

الفرقة الثانية: أسندت للواء لوفيردو Liverdo متكونة من ثلاثة ألوية اللواء الأول للعميد دامريمون، والثاني للعميد مينك ديزر والثالث للعميد كولومب دارسين.

الفرقة الثالثة: أسندت قيادة الفرقة الثالثة للواء الدوق دي كارس le Duc de Cars متكون من ثلاثة ألوية، اللواء الأول بقيادة العميد دوسافيني والثاني للعميد هيرل واللواء الثالث للعميد مونتليفو.

يضاف إلى هذا التعداد ثلاث سرايا من القناصة الأفارقة بمجموع 500 جندي يقودهم العقيد بوطون دو باري Bontems du Barry ، وصل عدد المشاة إلى 30 ألف جندي وعدد الضباط بمختلف الرتب 1080 ضابط، أما سلاح المدفعية وصل عدد جنوده إلى 2268 مزودين بـ 1380 حصانا ومجهزين بـ 15 قطعة مدفعية متعددة الاختصاصات، وأما سلاح الهندسة وصل عددهم إلى 1260 جندي و118 حصانا[138].

وأما سلاح المدفعية كان يتشكل من 2354 بين ضابط وجندي تحت قيادة الجنرال فالي Vallee الذي كلّف بتحضيره وتسييره، ولتسهيل العملية تم نقل المعدات في حوالي 356 عربة يجرها 3423 بغلا، أما سلاح الهندسة أُسندت مهامه إلى الجنرال فالازي Valazé ضم ستة كتائب مشكلة من 1260 جنديا وضابطا ونصف كتيبة من السائقين، وحظيرة تحتوي على أزيد من 20 عربة و130 فرسا.

بالنسبة للتعليمات التي أعطيت لقادة الوحدات العسكرية في حالة الإنزال البحري فإن أول من ينزل إلى البر هم جنود الهندسة العسكرية بغرض تدمير المواقع الحصينة وفتح المعابر، ثم يتبعهم فرق المشاة والفرسان، كما يتم إنزال بطاريات مدفعية لإطلاق القذائف

---

[138]– الغالي غربي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ص 91، 92.

ضد مواقع العدو وتقوم بتغطية المشاة الذين يهاجمون لتأمين طرق المواصلات، ليتمكن بعد ذلك الفرسان بالنزول إلى البر للقضاء على المقاومة[139].

وفيما يخص الأسطول البحري الفرنسي قُدّر عدد قطعه حوالي 645 قطعة بحرية متعددة المهام والأغراض تمثلت في 100 سفينة حربية مدعمة بـ 357 سفينة تجارية منها 119 سفينة فرنسية و238 سفينة أجنبية، أما عدد السفن المسطحة 12 سفينة لمدفعية الحصار و11 سفينة لمدفعية الميدان، بالإضافة إلى 30 سفينة مخصصة لنقل الجنود[140].

وقدّرت الميزانية المخصصة للحملة بحوالي 24 مليون و600 ألف فرنك جزء هام منها قدمته فرع عائلة روتشيلد الفرنسية[141].

3- تهيئة الرأي العام الداخلي والدولي :

تمكنت فرنسا من أن تحصل على موافقة اسبانيا لاستعمال موانئها وإقامة مستشفى في ماهون Mahon بالبليار يستعمل لعلاج الجرحى والمرضى، كما نجحت في ضمان حياد حسين باي تونس في حربها مع الجزائر منذ 1828، بل سمح هذا الباي بتسهيل تموين الحملة إن اقتضت الضرورة لذلك. ومن جهته التزم يوسف باشا طرابلس بالعمل على شل قوات محمد علي إن جاءت من مصر، أما المغرب الأقصى الذي عبّر عن امتناعه الصريح بتقديم العون للجزائر، فقد سمح سلطانه مولاي عبد الرحمن للفرنسيين بالتزود من موانئه في حالة الضرورة كذلك.

ولم تلق فرنسا موقفا رافضا بصراحة سوى من انجلترا التي كانت تنظر إلى الحملة بعين الريبة والشك، إلى درجة أنها طالبت بتوضيحات خاصة بالحملة، غير أن وزير البحرية الفرنسية لم يرفض تقديم التوضيحات فحسب بل رد على السفير الانجليزي متحديا إياه "امنعونا إن أردتم أو بالأحرى إن استطعتم".

---

[139]- عفرون محرز، مذكرات من وراء القبور، **مرجع سابق**، ص 223، 224.

[140]- **نفسه**، ص 94.

[141]- عفرون محرز، مذكرات ...، **مرجع سابق**، ص 223.

ومن جهة أخرى أدركت إنجلترا أنه يمكن الاستحواذ على الجزائر، وفي هذا الصدد نشر القنصل الأمريكي كتابا " نبذة عن إيالة الجزائر" في سنة 1826م في مدينة بوسطن، اقترح فيه بإمكانية احتلال الجزائر من طرف الولايات المتحدة الأمريكية أو إنجلترا، وقدّم فيها خطة مشروع للعمليات العسكرية بحيث ذكر:" أنه من الواضح بإمكان للجيش أن ينزل على المرسى الجميل لسيدي فرج بدون أن يجد عقبات، ومن هناك مسيرة واحدة توصله إلى أعالي التي تحكم قصر الإمبراطور فيستولي بسهولة ... أما الأسطول الذي أنزل جيشه سيتولى مهمة الظهور في عرض المرسى لتحويل أنظار العدو، ويبقى على المدينة أن تؤخذ بالقوة"[142].

ومن ثمة هذا المشروع مثله مثل المشاريع العسكرية الفرنسية التي سبقت وعرضناها تعطينا فكرة واضحة بأن الجزائر بخيراتها وكنوزها أصبحت عرضة أو فريسة للدول الأوروبية التي باتت تتنافس عليها.

4 – استعدادات الجزائر لمواجهة الحملة الفرنسية:

بينما كانت فرنسا تستعد للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، كانت هذه الأخيرة تستعد أيضا لمواجهة الحملة، حيث أقدم الداي حسين على تخصيص مرتبات لعدد من الجواسيس في كل من إيطاليا ومرسيليا وطولون وباريس، فنقلوا إليه خبر استعداد فرنسا لغزو الجزائر، وأنها أعدت أسطولا ضخما لإرساله، وقد أكّد هذا الخبر سفينتان جزائريتان استطاعتا أن تتسللا ليلا بين السفن الفرنسية المحاصرة، ونقلت أخبار مفادها أن الأسطول الفرنسي سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر ماي لسنة 1830، فأسرع الداي بإرسال الرسل إلى البايات يخبرهم بالأمر ويأمرهم بالاستعداد، كما سمح لجميع العرب والقبائل بحمل السلاح الذي كان محرما عليهم حمله[143].

---

[142]- عمار حمداني، **مرجع سابق**، ص 84.

[143]– سيمون بفايفر، **مصدر السابق**، ص59و 61.

لهذا كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة قبل وقوعها، لكن رغم الأخبار التي جاءته من الجواسيس تنذره بوقوع الحملة الفرنسية على الجزائر، إلا أنه اعتقد أن ذلك لن يتعدى الضرب من البحر (غارة بحرية) شأنها شأن الحملات الأوربية السابقة ستفشل لا محالة كما فشلت سابقاتها.

ومن جهة أخرى كان الداي حسين لا يزال على الاعتقاد بأن الفرنسيين لن يتخلوا عن فكرة التفاوض رغم استعداداتهم لحملة، وكان يساعده على اعتقاده كثرة الرسل والبعثات التي جاءت طالبة التفاوض منذ إعلان الحصار[144].

إن ثقة الداي حسين في عدم هجوم فرنسا برا على مدينة الجزائر هي التي منعته من تحصين سيدي فرج واستعمال كل إمكانياته، وكما يقول حمدان خوجة في كتابه "المرآة" في سيدي فرج لم تحضر المدفعية، ولم تحفر الخنادق ولم يكن هناك سوى 12 مدفعا كان الآغا يحي[145] قد نصبها في بداية إعلان الحرب"، ويضيف أيضا " وفي اليوم الذي نزل فيه الماريشال دوبورمون مع جيشه لم يكن تحت تصرف الآغا سوى 300 فارس، ولم يكن مع باي قسنطينة إلا عدد قليل جدا من الأجناد، لأنه لم يكن مستعدا لخوض المعركة، وكان باي التيطري في المدية، ولم يصل منها إلا بعد بضعة أيام " الإنزال الفرنسي[146].

ومن جهة أخرى لم يكن إبراهيم آغا قادرا على مواجهة الفرنسيين، حيث لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يعرف الشيء الكثير من التكتيك العسكري، إن " الآغا إبراهيم لم يعد أي شيء ولم يتخذ أي نوع من التدابير ولم يعطي أي أمر، وهكذا إذن كان هذا الآغا يريد محاربة الفرنسيين بدون جيش منظم ولا ذخيرة حربية ولا مؤن، ولا شعير للخيل، وبدون أن تكون له المقدرة الضرورية للقيام بالحرب"[147].

---

[144]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ...، **مرجع سابق**، ص ص 35، 36.

[145]– تولى يحي أغا قيادة الجيش في سنة 1817م، وقد تمكن من إخماد عدة ثورات وانتفاضات داخلية، وتم اغتياله بالبليدة سنة 1827م.

[146]– حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص ص 150، 152.

[147]– خلفية حماش، قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أوسطه والي 19 جوان 1830، **مجلة المعالم**، العدد 16، نوفمبر 2014، ص 176.

ولم يكتف إبراهيم آغا بعدم القيام بأية استعدادات لصد العدو، بل عارض اقتراحات الحاضرين أمثال الحاج أحمد باي قسنطينة الذي رأى أنه ليس من السياسة في شيء أن تجمع القوات الجزائرية في نقطة واحدة، وإن من الواجب توزيعها بحيث يحمل جزء منها إلى غربي سيدي فرج ، ومعنى ذلك أن الفرنسيين إذا لاحقوا الجيش، فإنهم سيبتعدون عن هدفهم الذي هو مدينة الجزائر، وسيكون ذلك لصالح الجزائر، إذ يستطيع الجيش البدء بالهجوم. وإذا قصد الفرنسيون مدينة الجزائر، فإن الجيش الجزائري سيهاجمهم من الخلف والانتصار عليهم، كما اقترح باي قسنطينة أن يتولى كل قائد الاعتناء بجزء من الجيش، ويكون مقر القيادة مدينة الدار البيضاء، فكان رد إبراهيم آغا من هذه الاقتراحات بقوله: " إنكم لا تعرفون التكتيك الأوروبي، إنه يتعارض كل المعارضة مع تكتيك العرب"[148]، ورأى باي قسنطينة في هذه الإجابة البليدة إهانة له، لذلك التزم الصمت ولم يسمح لنفسه بإبداء أية ملاحظة أخرى.

ولولا كان الآغا يحي على رأس الجيش الجزائري بدل إبراهيم آغا لكانت الأمور أحسن حالا، لأن تجاربه في البحر والبر وشجاعته في كل المناسبات تكون ضمانا للجندي الذي يعمل تحت أوامره، وعلى حد وصف شريف الزهار فإن الأغا يحي يعتبر أحسن رجال الدولة عقلا ومعرفة[149].

وأرسل الداي حسين أيضا إلى باي وهران يأمره بتحصين الميناء، كما أرسل إلى باي قسنطينة يأمره بتحصين ميناء عنابة ويستقدمه إلى العاصمة طبقا للتقاليد التي تقتضي القدوم كل ثلاث سنوات، كما أمر بإجراء إحصاء لعمال مدينة الجزائر وإرسالهم إلى القلاع للدفاع عنها.

---

[148]– حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 154.

[149]– مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص 201.

المحاضرة التاسعة

بداية الاحتلال وسقوط العاصمة الجزائرية

تمهيد:

فكّرت الحكومة الفرنسية قبل احتلالها للجزائر في توزيع منشور يكون جدير بزعزعة الجبهة الداخلية للدولة الجزائرية، لعلمها بعدم وجود توافق بين السلطة الحاكمة والشعب، فكلفت وزارة الحربية الفرنسية العقيد كليرمون تونير بتحرير بيان موجها إلى الجزائريين لإتقانه للغة العربية وكان على اتصال بالدبلوماسيين الأجانب الذين زودوه بمعلومات عن الجزائر أرضاً وشعباً.

1- البيان الفرنسي إلى الجزائريين:

ابتداءً من شهر جانفي طلب دوبرمون من العقيد كليرمون تونير الذي يجيد اللغة العربية بمساعدة المستشرق سيلفيستر دوساسي Silvestre De Sacy بتحرير بيان باللغة العربية يعرّف فيه بنوايا فرنسا، وطُبع سرا في 400 نسخة وسُلمت إلى وفد من ثلاثة رجال مختصين بالعالم الإسلامي وهم بران دوبينيسك والعقيد جيراردان، والقنصل الفرنسي بتونس رامبير، وصلوا سرا إلى تونس في 30 أفريل 1830م ليقوموا بتحضيرات لحرب نفسية الهدف منها عزل الداي حسين من السلطة وتأليب رأي المجتمع الجزائري عليه، وتوضيح وجهة نظر الفرنسية بالنسبة لهذا الغزو، وخلق بلبلة في صفوف الجزائريين وإعطائهم انطباع بأن الفرنسيين جاءوا لتخليص الجزائريين من السيطرة التركية، وبذلك يتضامنون مع فرنسا ولا يتصدون لها، تم طبع بيان ثاني في نهاية شهر ماي يشدد على احترام الدين الإسلامي وكانت لهجته أكثر تهديدا، ثم طبعت النسخة الثالثة في 5 جوان 1830م وعُلقت في مدينة الجزائر بعد الاستسلام الهدف منها استمالة القبائل إليها[150]، ولطول هذا البيان نكتفي فقط بتوضيح أهم النقاط التي جاءت فيه بحيث ادعى الفرنسيون ما يلي:

[150]- بيار بيان، **مصدر سابق**، ص 80، 81.

1- إنهم قادمون إلى الجزائر لمحاربة الأتراك وليس الأهالي.

2- إنهم سيحمون الأهالي ولا يحكمونهم.

3- إنهم سيحترمون دين الأهالي ونساءهم وأملاكهم.

4- تذكير الأهالي بان مصر قد قبلت صداقة الفرنسيين، وان هؤلاء سيعاملون الجزائريين بنفس المعاملة التي عاملوا بها المصريين.

5- طلبوا من الأهالي أن يتعاملوا معهم ضد الأتراك أو على الأقل أن يبتعدوا إلى الريف، لأن الفرنسيين ليسوا بحاجة إلى مساعدة لهزيمة وطرد الأتراك[151].

وللإشارة جاء عنوان البيان كالتالي:" هذه مناداة من سار عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى سكان الجزائر وأهالي القبائل"، ونُشر النص العربي لهذا البيان لأول مرة في المجلة الإفريقية لسنة 1913 مصحوب بترجمة حرفية بالفرنسية من طرف بريسني[152].

2- انطلاق الحملة من ميناء طولون إلى سيدي فرج:

غادرت الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال دوبرمون ميناء طولون يوم 25 ماي 1830م، متجهة إلى الجزائر، وقد وصلت الحملة في 14 جوان 1830م ونزلت بشبه جزيرة سيدي فرج غربي العاصمة على بعد 28 كلم، وفق خطة بوتان التي وضعها في عهد نابليون، والتي أكد فيها أن تلك المنطقة هي نقطة الضعف في الدفاع الجزائري[153].

كما قضت خطته أن أنجع طريقة للانتصار هي النزول بهذه المنطقة، ثم مهاجمة مدينة الجزائر برا من ناحية الجنوب، لعلم بوتان بإهمال الأتراك التحصينات البرية، واكتفائهم بالدفاعات البحرية.

وفي غياب خطة عسكرية دفاعية واتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع الحملة من النزول إلى البر، نجح الفرنسيون دون مقاومة تذكر واستولوا على سيدي فرج، وانتصروا على قوات الداي في اسطاوالي أين كان معسكر القوات الجزائرية في 19 جوان 1830م.

---

[151]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، **مرجع السابق**، ص ص 271، 280.

[152]- **نفسه**، ص 275.

[153]- الغالي غربي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ص 111، 112.

معركة اسطاوالي:

لم تحظ منطقة سيدي فرج بأي اهتمام من طرف السلطات الجزائرية، فلن تحضر المدفعية ولم تحفر الخنادق، واكتفوا بوضع عدد من المدافع الخفيفة التي قُدّرت بإثني عشر مدفعا تحسبا لأي طارئ وقد تم هذا التجهيز في عهد الأغا يحي[154]، وعشية نزول الجيش الفرنسي لم يكن هناك أي استعداد لا على المستوى البري أو المدفعية، وبالتالي لم تكن محصنة كبقية المناطق الأخرى، أما ميزان القوى العددي بين الطرفين الجزائري والفرنسي عشية المجابهة كان لصالح الفرنسيين، فعددهم كان سبعة وثلاثين ألف جندي واثنان وسبعون مدفع ميدان بالإضافة إلى التجهيزات الأخرى، وأما القوات الجزائرية كان يتراوح بين 15 ألف و20 ألف جندي، وتم تعبئة سكان متيجة وانضمت جماعات متطوعة من قبيلة فليسة وغيرها، إلا أن المصادر تشير أنه لم يتم مساعدة هؤلاء المتطوعون لتشجيعهم على التصدي للعدو، وتُركوا بدون مؤونة ولا علف لخيولهم مما أدى بهم العودة إلى منازلهم، وفيما يخص خطة المعركة تم وضعها بحضور الأغا إبراهيم، الحاج أحمد باي قسنطينة، مصطفى بومزاق، وخليفة باي وهران، تمثلت في مهاجمة أجنحة العدو[155].

وفي صبيحة يوم السبت 19 جوان 1830 التقى الطرفان وانتهت المواجهة بهزيمة الطرف الجزائري الذي دبت الفوضى والاضطراب في صفوفه، فلم يصمد طويلا أمام قوة وانضباط الجيش الفرنسي مكنته من الاستيلاء على معسكر اسطاوالي، مقابل خسائر بشرية ومادية في صفوف الجزائريين، انسحب الأغا إبراهيم من أرض المعركة واختفى في منزل ريفي تاركا وراءه 270 خيمة و60 جملا نحرها الفرنسيون كلها وأكلوا لحمها، فأرسل له الداي حسين حمدان خوجة وأقنعه بالعودة لقيادة الجيش[156].

يقول حمدان خوجة في المرآة:" دخل إبراهيم أغا الحرب بلا جيش مدرب ومنظم، وبدون ذخائر، وبدون مواد غذائية، وبدون شعير للخيل، وبدون أية كفاءة للقيام بالحرب، لقد

---

[154]– حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 152.

[155]– جمال قنان، **دراسات في المقاومة والاستعمار**، مج4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص ص 36،40.

[156]– عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 448.

أعطى كل جندي طلقتين اثنتين فقط"[157]، رغم أن الداي حسين سلّم للأغا مبالغ مالية لتوزع على الجنود تشجيعا لهم لكنه لم يعط أحدا منه شيئاً، كما وعد الداي الجزائريين أنه من يقتل فرنسيا ويحمل رأسه يكافئه بمبلغ 500 فرنك، لكن الأغا إبراهيم لم يطبق تعليمات الداي[158]، ولهذا كان أكبر خطأ ارتكبه الداي حسين عزله لأغا يحي من قيادة الجيش وتعيين صهره إبراهيم أغا.

- معركة سيدي خالف:

تقدمت القوات الفرنسية نحو منطقة سيدي خالف يوم 22 جوان ففوجئت بهجومات في مؤخرة الوحدات قادها مصطفى بومزراق باي التيطري مكّنه من إلحاق خسائر في صفوف العدو ونجح في أسر بعض الجنود الفرنسيين، وقد ذكر اللواء بيرتزان أن عناصر الجيش الجزائري استعادوا شجاعتهم ونشاطهم بعد أن لاحظوا ثبات وعدم تحرك القوات الفرنسية، لكن تراجع الجزائريون أمام قوة النيران الفرنسية، فحاول الكرة للمرة الثانية وتوالت الهجومات بكل قوة وقد وجدت الوحدات الفرنسية المدافعة صعوبات في صد هذا الهجوم، ولم تنجح في توقيف هذه الهجومات إلا بعد قتال طويل، فانسحبت القوات الجزائرية بعد محاولات متكررة تسببت في خسائر بشرية في صفوف الجيش الفرنسي من بينهم الملازم الأول أميدي Amédée بن الجنرال دوبرمون الذي أصيب بجراح خطيرة مات على إثرها [159].

وأمام هذه المقاومة قرر دي بورمون انتظار التعزيزات، ثم أمر بمواصلة الزحف على الجزائر العاصمة تبعا للخطة التي رسمها بوتان، ومحاولة من الداي حسين لتفادي خسائر أخرى قام بعزل الأغا إبراهيم وعيّن مكانه الباي بومزراق على رأس ما تبقى من الجيش، وطلب من مفتي مدينة الجزائر محمد العنابي بدعوة الناس إلى الجهاد إلا أن هذا التغيير جاء متأخرا، ففي 4 جويلية سقط برج مولاي الحسن في يد الفرنسيين بعد أربعة أيام من

---

[157]– حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 158.

[158]– أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 42.

[159]– أحمد بوذراع، الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 دراسة عسكرية، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، العدد 3، المجلد 4، جويلية 2022، ص 95.

المعارك، وهو الحصن الذي يشرف على العاصمة والوحيد الذي كان يحمي المدينة من الجهة الجنوبية والجهات البرية بصورة عامة، وعندما يئس الأتراك من إيقاف الهجوم الفرنسي على الحصن فأضرم الخزناجي النار في خزينة الذخيرة وفجّر الحصن[160] وبسقوطه فُسح المجال للقوات الفرنسية بدخول المدينة لما له من أهمية إستراتيجية.

3- سقوط مدينة الجزائر:

وأمام هذا الوضع الحرج استدعى الداي حسين أعيان المدينة ورجال القانون والدين، شرح لهم الوضع الذي تمر به البلاد وطلب منهم النصيحة لمواجهة الموقف، هل من الصواب مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين، أم تسليم المدينة إليهم؟ قائلا:" أصدقائي، لا تترددوا، عبّروا عن رأيكم بصراحة، يجب علينا في ظل هذه الظروف، أن نتشاور حول الوسائل الأنجع، وما أنا سوى واحد منكم...ما رأيكم؟ هل من الممكن ان نقاوم الفرنسيين لمدة طويلة، أم علينا إنقاذ المدينة بإبرام اتفاقية"[161]، فأجابوه بجواب غامض، وتركوا له الرأي على أساس الطاعة لأمره، حسب وصف حمدان خوجة الذي حضر الاجتماع، فالكل كان يخشى غضب الداي إذا ما أصفح عن رغبتها في عقد السلم.

وفي ليلة 2 جويلية 1830م، اجتمع عدد من أعيان مدينة الجزائر وقرروا أن ضياع المدينة أصبح أمراً محتوما، وأنه إذا دخلها الفرنسيون عنوة فإنهم سيبيحون وينهبون ثرواتها ويعتدون على النساء ويقتلون الأطفال، ورأوا تفاديا لذلك قبول اقتراح الداي حسين الذي ينص على الاستسلام بعد توقيع المعاهدة، مقتنعين أن فرنسا ستترك الجزائريين يتمتعون بدينهم وتقاليدهم وغيرها.

وفي 4 جويلية 1830 جمع دى بورمون أعضاء مجلسه، بمساعدة جنرالاته دوبري Deprez وبرتزين Berthezéne ، إيسكار Escars، فالازي Valazé، لاهيLa Hite ، وطولوزي Tholosé وقام بتحرير مراسلة سلّمها بعد التوقيع عليها إلى براسيويث Bracewithz أحد مترجمي الجيش الفرنسي ليقوم بتسليمها للداي حسين، فيها شروط

---

[160]- الغالي غربي وآخرون، **مرجع سابق**، ص 118.

[161]- بيار بيان، **مصدر سابق**، ص 100.

الاستسلام، التي أثارت نقاشا بين الضباط الأتراك الذين طالبوا بالدفاع عن المدينة ومحاربة الفرنسيين، لكن الداي أقنعهم باستحالة مواجهة الفرنسيين تجنبا للوقوع فيما لا يُحمد عقباه[162].

وبناءً على ذلك قرروا عدم مقاومة الفرنسيين عند دخولهم للمدينة فأرسل الداي حسين كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الانجليزي وأحمد بوضربة وحمدان خوجة كمترجمين إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع دي بورمون، وعرض عليه الصلح، ولم يكن الداي يدرك حجم المؤامرة التي حيكت ضده من طرف كاتبه مصطفى والخزناجي لتصفيته[163]، لكن دي بورمون رفض التفاوض على أساس أنه جاء ليحارب، فرفض الصلح وأصرّ على استسلام الداي وتسليم المدينة، وفرض عليه الشروط التي سُميت بمعاهدة الاستسلام جاء فيها مايلي:

– يسلم حصن القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر إلى الجيش الفرنسي صبيحة 5 جويلية 1830 على الساعة العاشرة.

– يتعهّد القائد العام للجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته وكذلك جميع ثرواته الشخصية.

– للداي الحرية في الانسحاب مع أسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يحدده، وسيكون هو وكامل أسرته تحت حماية قائد الجيوش الفرنسي، وذلك طيلة بقاءه في الجزائر، وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وامن أسرته.

– يتمتع الجنود الأتراك التابعين للجيش الجزائري بالحقوق المقررة في الفقرات السابقة.

– ستبقى ممارسة الشعائر الدينية الإسلامية حرة، ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم ، ولا بتجارتهم و صناعتهم، وستكون نساؤهم محل احترام ويتعهد القائد العام الفرنسي بذلك عهد شرف.

---

[162]– محمود باشا محمد، **الاستيلاء على إيالة الجزائر**، تر: عزيز نعمان، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2012، ص 65.

[163]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، **مرجع سابق**، ص 45.

- سيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة، و ستدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا إلى القصبة، ثم تدخل بالتتابع كل الحصون المدينة البحرية، واضطر الداي إلى قبول الشروط الفرنسية السالفة الذكر، ووقع على وثيقة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830م[164].

إن الأهداف الإستراتيجية للاستعمار الفرنسي للجزائر تتناقض بشكل كبير مع ما تضمنه المنشور الفرنسي الموجه للشعب الجزائري قبل الاحتلال والذي جاء فيه:" أما أنتم يا شعب المغاربة اعلموا وتأكدوا يقينا أني (سار عسكر أمير الجيش الفرنساوي) لست آتياً لأجل محاربتكم... فإن حضورنا عندكم ليس هو لأجل محاربتكم، وإنما قصد محاربة باشتكم (الداي حسين)، الذي بدأ وأظهر علينا العداوة والبغضاء"[165]، وما ممارسات الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة من الاستيلاء على خزينة الحكومة الجزائرية ومصادرة الأراضي والأوقاف وتفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم للاقتصاد وعدم احترام الشعائر الدينية لخير دليل على المشروع الاستعماري الاستيطاني الذي جاءت فرنسا لتحقيق حلمها.

4- الاستسلام وبداية الاحتلال:

دخل الفرنسيون مدينة الجزائر في 6 جويلية 1830م من باب الجديد بأعالي المدينة وأنزلت الأعلام من جميع القلاع والأبراج وارتفعت في مكانها رايات الاحتلال الفرنسي، وأقيمت صلاة المسيحيين وخطب فيها قساوسة الحملة، فقام قائد الحملة الفرنسية قائلا:" لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا"[166].

وفي مذكرات أحمد الشريف الزهار وصف كيف تم الاستيلاء على قلعة مولاي السلطان بعد قتال كبير والتي مات فيها الجزائريون والفرنسيون، وعن خروج آخرون وهروبهم من القلعة أحياء مثل الخزناجي، الذي أمر قبل مغادرة القلعة بإشعال النار في خزنة البارود حتى لا يقع في يد الفرنسيين، فتسبب الانفجار هلعا وخوفا في سكان مدينة الجزائر[167].

---

[164]- حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص ص 171، 172.

[165]- ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 24.

[166]- محمود باشا، الاستيلاء على إيالة الجزائر، **مرجع سابق**، ص 68.

[167]- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص 217.

بعدما تيقّن أحمد باي من سقوط القلعة انسحب مع فرسانه إلى عين الرباط (مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة حاليا) متجهاً نحو قسنطينة، فانضم إليه 1600 فارسا هربوا من الجيش، وفي الطريق اتصل به دى بورمون وعرض عليه الولاية مقابل دفع الإتاوة سنويا لفرنسا، فرفض العرض ورجع إلى قسنطينة معلنا الجهاد ضدها[168].

وأما بومزراق باي التيطري فقد قبل العرض الذي قدّمه في البداية، لكنه لم يلبث أن شق عصا الطاعة وحارب الفرنسيين، فقبضوا عليه ونفوه إلى الإسكندرية حيث توفي، وأما باي وهران حسن بن موسى فقد سلّم للفرنسيين مدينة وهران والمرسى الكبير بعد رفض سكان الإقليم التعامل معه لظلمه ومعاملته السيئة، فكان مصيره النفي[169].

وفي 20 جويلية رحل الداي حسين عن مدينة الجزائر واصطحب معه 110 أشخاص من أهله والمقربين منه، وكان مترددا فاختار في البداية مالطة لكن تراجع بسبب تعكر العلاقات مع الإنجليز، وتوجه إلى نابولي وأقام بها فترة قصيرة ثم انتقل إلى ليفورن Livourne بإيطاليا في منزل تملكه عائلة بكري وبوشناق، ثم قام بزيارة لفرنسا فاستقبله رئيس الوزراء الفرنسي كازيمير بيري Casimir Pérer وطلب منه إعادة أملاكه النقدية والعقارية، لكن بدون جدوى، حاول عدة مرات ربط علاقته بالجزائر في إطار الاستعداد للمقاومة لكنه لم يجد المساعدة، وأخيرا توجه إلى الإسكندرية حيث أقام بها حتى وفاته سنة 1838م عن عمر 73 عاما[170].

وأما الجيش الإنكشاري والجنود الأتراك لقوا مصيرهم مثل بقية الجزائريين، تم ترحيلهم في 11 جويلية جماعيا في سفن فرنسية إلى أناضوليا بآسيا الصغرى بطريقة تثير الشفقة والحزن، كان عددهم في مدينة الجزائر حوالي خمسة آلاف بين عازب ومتزوج.

---

[168]– عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 453.

[169]– أبو القاسم سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830– 1962**، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 20، 21.

[170]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية..، **مرجع سابق**، ص ص 135، 138.

5- أسباب فشل الجزائريين في التصدي للحملة الفرنسية:

يمكن حصر أسباب التي كانت وراء فشل الجزائريين في التصدي للهزيمة التي مُنيوا بها من قبل الجيش الفرنسي كالتالي:

1- ضعف القدرات العسكرية بحيث استخدم الجزائريون أسلحة بدائية وغير متطورة وعدد قليل من الجنود النظاميين البالغ عددهم حوالي 4 آلاف جندي، بالمقارنة بالجيش النظامي الفرنسي المتطور استعملوا أسلحة متطورة وطبقوا خططا حربية مدروسة منذ أن بدأت المشاريع العسكرية في التخطيط.

2- افتقد الجيش النظامي الجزائري إلى قيادة متحكمة في الجانب العسكري، والخطأ الذي ارتكبه الداي حسين هو قيامه بعزل القائد يحي أغا من منصبه ذوي الخبرة العسكرية ومتمكن في الفنون القتالية، وعيّن مكانه صهره إبراهيم أغا قائدا على الجيش الذي لا يفقه في التكتيك الحربي، كما أنه لم يأخذ بنصائح الحاج أحمد باي في اقتراح قدمه لمهاجمة الفرنسيين.

3- ضعف الاستعداد والتخطيط والتي تعتبر من الأخطاء التي ارتكبت، رغم علم القيادة الجزائرية بقدوم حملة عسكرية لغزو الجزائر الا انها لم تُدرك تبعاتها وما سينجر عنها من مساوئ، إذ تركوا منطقة سيدي فرج التي تبعد عن منطقة الحراش شرقا بـ 40 كلم بدون تحصين سوى عدد قليل من المدافع كان الأغا يحي قد نصبها، وقاموا بحشد قوات وعتاد كبير في المنطقة الشرقية لمدينة الجزائر، ولما قام الجاسوس بوتان سنة 1808م بدراسة الأوضاع وجد نقطة ضعف في الجهة الغربية للمدينة.

4- الإفراط في الثقة بحيث كان الاعتقاد الراسخ لدى حكام الجزائر أن مدينة الجزائر لا تُقهر ولا تنهزم، وهذه ثقة مفرطة لعدة اعتبارات منها بأن الجزائر محروسة وآمنة من كل الاعتداءات التي تعرضت لها من قبل الدول الأوروبية فكانت كل الحملات العسكرية فاشلة[171].

[171]- أرزقي شويتام وآخرون، المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي، **مرجع سابق**، ص ص 226، 229.

المحاضرة العاشرة

تداعيات الحملة الفرنسية على الجزائر

تمهيد:

بمجرد أن دخل الجيش الفرنسي مدينة الجزائر بدأ في تحطيم المعالم الحضارية للدولة الجزائرية والشروع في تطبيق مشاريعه الاستيطانية، فظهرت نوايا فرنسا الحقيقية ضاربة عرض الحائط ما جاء في البيان الذي أصدره دوبرمون قبل الحملة، وما جاء أيضا في معاهدة الاستسلام.

1- انتهاكات فرنسا لمعاهدة الاستسلام:

سجّل كثير من ضباط جيش الاحتلال الفظائع التي ارتكبها في حق الشعب والأرض ضاربين عرض الحائط ما جاء في معاهدة الاستسلام، وصف بليسييه دو رينو Pellissier de Reynaud احتلال الجزائر بقوله:" أكثر احتلال تم في فوضى يفوق ما تم حتى في أكثر القرون بربرية هو احتلال مدينة الجزائر"[172].

1-1- استيلاء الفرنسيين على خزينة الدولة الجزائرية:

من دوافع الحملة أن الفرنسيين كانوا يطمعون في خزينة الجزائر للتخلّص من ديونهم، فقضية الاختلاس أصبحت حقيقة لا مفر منها بعد أن نفاه المؤرخون ذوي النزعة الاستعمارية، فقد اكتشف مارسيل إيمريت Marcel Emerit في الأرشيف الوطني بباريس سنة 1954م وثيقة مهمة وهي تقرير حول تحقيق أجري بأمر من مدير شرطة باريس بييتري سنة 1852م كشف عن وجود اختلاس حقيقي[173].

دخل دوبرمون إلى القصبة ليصل إلى ساحة الديوان فاستلم مفاتيح الخزينة من الخزناجي الذي كان في انتظاره عند باب الخزينة، فسلّم دوبرمون المفاتيح للأعضاء الثلاثة للجنة المالية الذين كُلفوا باستلام الكنز[174]، والمكونة من البارون دونييه Denniée

---

[172]- عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 455.

[173]- عمار حمداني، **مرجع سابق**، ص ص 552- 544.

[174]- بيار بيان، **مصدر سابق**، ص 107، 108.

(المتصرف المالي المسؤول في الجيش) والجنرال هنري ألكسيس من تولوزي Henri Alexis de Tholozé (نائب قائد الأركان) وجون بابتيست فيرينو Jean Baptiste Firino (محاسب عام للجيش وممثل وزارة المالية)[175]، فوقع الاستيلاء عليها ونهبها والتي قُدّرت رسميا قيمتها 55684527 مليون فرنك[176]، ويذكر بيار بيون أنه في اليوم الموالي بدأت لجنة المالية في عدّ ووزن وقياس الذهب الذي تم ختمه، ويذكر تقرير اللجنة أنه كنز ضخم من الذهب والفضة سواء كان ذلك نقدا أو سبائك، وبأنه استنادا لما تم عدّه الى حد الآن فإن مصاريف الحرب ستغطى بالضعف[177].

واصلت اللجنة المالية في الجزائر اجتماعاتها بانتظام حتى 10 أوت 1830، حين بلغ خبر قيام ثورة جويلية فتوقفت، ومما جاء :" مجمل الأموال والقيم التي وجدت في خزينة إيالة الجزائر تقدر بمبلغ ثمان وأربعون مليونا وستمائة وأربع وثمانين ألف وخمسمائة وسبع وعشرين فرنكا وأربعة عشر سنتيما (48684527 فرنك)، ويبلغ إجمالي الأموال المرسلة إلى فرنسا على خمس دفعات متتالية ثلاثا وأربعين مليونا وثلاثمائة وثماني وتسعين ألفا وتسعمائة وثمانية عشرة فرنكا (43398918 فرنكا)"[178]، والملاحظ أن الأموال المنهوبة التي وجدت في خزينة الدولة الجزائرية والمرسلة إلى باريس أقل بكثير من تقديرات دى بورمون.

ويروي الماريشال ماكماهون الذي رافق الجنرال دوبرمون للخزينة وكان آنذاك ضابطا:" كانت الخزينة عبارة عن حُجرة تبلغ مساحتها ستة أمتار في خمسة، في أقصاها سياج من خشب البلوط يبلغ ارتفاعه مترين كدست بينه وبين جدار الغرفة نقود فضية من كل نوع، وعلى يمين صندوق كبير في نقود من الذهب لا سيما النوع الاسباني، وعلى الأرض ثلاثة

---

[175]– محمود باشا، **مرجع سابق**، ص 70.

[176]– سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، **مرجع سابق**، ص 23، 24.

[177]– بيار بيان، **مصدر سابق**، ص 125.

[178]– **نفسه**، ص 117.

أقراص صغار أو أربعة من الذهب...وقدّر هذا الكنز بما يقابل ثمانين مليون فرنك"[179]، وفي حقيقة الأمر أن المبلغ أكثر من ذلك لولا نهب وسرقة الضباط للمبالغ المالية وإحراق سجلات الخزينة.

وحسب بيار بيون Pierre Pion فإن الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن من أجل مسألة الشرف الفرنسي، ولم يكن بسبب حادثة المروحة بل ارتبط بسرقة مالية لم يتم الاعتراف بها رسميا، لقد ساهم هذا الكنز في تغطية نفقات الحملة بحوالي ثمانية وأربعين مليون فرنك من الذهب والفضة، بينما بلغت القيمة الحقيقية لخزينة الجزائر أكثر من مائتين وخمسين مليون فرنك (250 مليون فرنك)، والتي لم تذهب لخزينة الدولة الفرنسية، بل أخذت وجهات أخرى منها إلى الملك لويس فليب الأول والدوق دوبيري وكبار القادة في الجيش وملاك البنوك والصناعيين أمثال سيلر وشنايدر[180]، وقدّرها حمدان خوجة بحوالي 100 مليون فرنك نُقلت على لندن حيث تقاسمها لويس فليب وتاليران وبعض أعوانهم[181].

1-2- تدنيس وتدمير المساجد:

بمجرد أن دخل الفرنسيون مدينة الجزائر ضربوا عرض الحائط المعاهدة التي نصت في إحدى بنودها على " حرية ممارسة الديانة الإسلامية واحترامها وعدم تعرّضها لأي مساس، ومنع دخول أي عسكري من جيش الاحتلال إلى المساجد وتدميسها"، استولى الجيش الفرنسي على 114 منزلا و60 مسجدا و55 بناية تابعة لأعمال البرّ التي تكفّلت بها مكة والمدينة المنورة، و11 ملكية تابعة للمسجد الكبير، و29 ملكية فاخرة للخواص، و60 دكانا و04 فنادق ملكية عامة، كما أعطيت الأوامر بهدم المنازل والمساجد والدكاكين والأسواق والمدارس والزوايا وحتى المقابر، وحسب جريد لومنيتور le Moniteur الصادرة في 12 جانفي 1831م فقد تم هدم 900 منزل بالجزائر و900 منزل بالفحص (ضواحي

---

[179]- عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 452.

[180]- لورا فيشيا فاقلييري، **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة**، تقديم: ايمانويل باتاي، تر: حميد علد القادر، عالم الأفكار، الجزائر، 2013، ص 9.

[181]- حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 98.

العاصمة) وانتزاع 3 آلاف منزل وتدمير 420 منزلا ودكاكين ومدارس ومساجد وحنفيات عمومية لتشييد ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)[182].

1-3- نهب ومصادرة الأراضي:

تمادت الإدارة الفرنسية في تعاملها مع السكان رغم تعهدها باحترام ممتلكات الأهالي، وقامت بتأسيس قطاع أملاك الدولة باسم " الدومين" Les Domaines بحيث أصدرت مرسوما في 08 سبتمبر 1830م يبرّر عمليات احتجاز الأراضي سواء تعلّق الأمر بأملاك الحبوس التابع للمؤسسات الخيرية (أراضي الوقف)، أو أملاك البيلك أو أملاك الخواص، فامتد هذا القرار ليمس قبائل المناطق الحضرية، وكأول خطوة قامت بها فرنسا بإرسال معارضي السلطة من المحكوم عليهم بالإعدام والشخصيات غير المرغوب فيها، وذوي السوابق العدلية والأشرار والرعاع إلى الجزائر،[183] وهكذا أُفرغت العاصمة الفرنسية من هؤلاء وكل ذلك في صالح أمن وصفاء باريس على حد قول رئيس شرطة باريس بود Baude بحيث تم ترحيل 4500 شخص خلال شهري جانفي وفيفري 1831م[184].

وفي تقرير اللجنة الإفريقية سنة 1833م إلى الحكومة الفرنسية يشير إلى الضرر الذي أصاب المجتمع الجزائري من جراء الاحتلال جاء فيه:" لقد حطمنا ممتلكات المؤسسات الدينية، وجردنا السكان الذين وعدناهم باحترام الحريات الأساسية وعدم المساس بها، والحفاظ على المقدسات، فأخذنا الممتلكات الخاصة والعامة بدون تعويض، وذبحنا أناسا كانوا يحملون الآمان، وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين (الفقهاء) في بلادهم، كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين"[185].

---

[182]- محمود باشا، **مرجع سابق**، ص 84.

[183]- إبراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830- 1962**، دار هومه، الجزائر، 2007، ص ص 122، 123.

[184]- محمود باشا، **مرجع سابق**، ص 101.

[185]- عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830- 1850**، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 47.

وهكذا جعل الماريشال كلوزال من سهل متيجة مستقرا ومرتعا للمتسولين من الفرنسيين والصعاليك من الأوروبيين الذين جلبهم من إسبانيا وجزر البليار ومالطة وإيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرا وغيرهم، وتدفق المهاجرون قاصدين الجزائر عبر البحر الأبيض المتوسط، بحيث بلغ عدد السكان الأوروبيين في الجزائر سنة 1839م حوالي 25 ألف نسمة من بينهم 11 ألف فرنسي.

1-4- سياسة الإبادة الجماعية:

تعرض الجزائريون إلى إبادة جماعية من قبل القوات الفرنسية منذ بداية الاحتلال قصد الاستيلاء على أراضيهم، وبعد أن استقر قادة الاحتلال الفرنسي على الرأي ببقاء قواتهم العسكرية في الجزائر، أطلقوا العنان لأنفسهم بالقيام بحملات تأديبية ضد الشعب الجزائري خاصة بعدما لقوا مقاومة قوية بالمتيجة مما دفع بالقوات الفرنسية باستعمال سياسة الحديد والنار واقترفوا مجازر اللاانسانية وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مجزرة العوفية بتاريخ 07 أفريل 1830 في منطقة الحراش التي ارتكبها دوروفيغو De Rovigo في حق قبيلة عربية راح ضحيتها 12 ألف جزائري[186]، وحسب ما جاء في تقرير لجندي مرتزق ألماني أنه لم يراع في هذه المجزرة لا الأطفال ولا النساء ولا الشيوخ اغتالوا الأطفال وهم في أحضان أمهاتهم[187].

ثم تلتها مجازر البليدة في عهد الجنرال كلوزيل في 26 نوفمبر 1830م راح ضحيتها 400 جزائري، وأيضا مجزرة بالمدية ذكرها حمدان خوجة في المرآة قال:" قام الجنود الفرنسيون بأعمال وحشية في هذه المدينة وأحدثوا وجزرة رهيبة لم ينج منها لا رجال ولا نساء ولا أطفال وهناك تم تقطيع الرضع وهم على صدور أمهاتهم"[188]، ثم تكررت بشكل أبشع في سنة 1831م حتى أفرغت المدينة من سكانها إلى أن احتلت نهائيا سنة 1840م، ومجزرة

---

[186]- بوعزة بوضرساية وأخرون، **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، ط.خ، م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، 2007، ص ص 122، 123.

[187]- عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830- 1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 96.

[188]- حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص 219.

أولاد رياح الواقعة في جبال الظهرة في عهد السفاح الجنرال بليسيي Pellissier في 19 جوان 1845م بحيث تم قتل داخل المغارة ألف جزائري، ذكر أبو القاسم سعد الله نقلا عن صحيفة التايمز البريطانية :" إنها مذبحة فظيعة جعلت حتى المتوحشين يخجلون"[189].

1-5- عظام جثث الجزائريين:

في تصريح لسيغود وهو دكتور في الطب بمرسيليا في 1 مارس 1833م يقول فيه:" لقد علمت في الشارع أن من بين العظام التي تستعمل في صناعة الفحم الحيواني توجد عظام للنوع البشري، فعلى متن البومبارد لابون جوزيفين القادمة من مدينة الجزائر والمحملة بالعظام، قد تعرفت على العديد من العظام تنتمي إلى الهيكل البشري، لقد رأيت الجماجم وعظام الزنود وعظام الأفخاذ من النوع الكهلي وقد تم استظهارها حديثا من القبور ولم تكن خالية من اللحم بصفة نهائية"[190].

خلاصة:

وهكذا تحوّلت الحملة الفرنسية على الجزائر في غضون أيام إلى احتلال، وتحوّل تأديب الداي حسين باشا -حسب زعم فرنسا- إلى تأديب شعب وأرض، وتحوّل الانتقام من العنصر التركي المستبد إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي ومسلم ولأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال، وأخيرا تحوّل المحررون إلى غزاة نقلوا حربهم من مدينة الجزائر إلى مختلف أنحاء القطر شرقا وغربا وجنوبا.

---

[189]- سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، **مرجع سابق**، ص 230.

[190]- محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830- 1954**، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 41.

المحاضرة الحادية عشر

المواقف الدولية من احتلال الجزائر

تمهيد:

تباينت المواقف الدولية من سقوط الدولة الجزائرية بأيدي القوات الفرنسية بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، من قبل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية والدول المغاربية والدولة العثمانية، وفيما يلي سنذكر أهم هذه المواقف:

1- على المستوى الغربي:

كان موقف الدول الأوروبية في عمومه مؤيد للغزو والاحتلال لادعاء فرنسا أن هدفها من وراء حملتها على الجزائر كان بدافع القضاء على القرصنة وتحرير الأسرى، وفيما يلي نستعرض أهم ردود فعل الدول الغربية:

روسيا :

أيّدت روسيا الغزو الفرنسي للجزائر بلا تحفّظ ودعمته بمهندسين وضباط عسكريين، وصرحت بأنها تنظر بعين الرضا إلى احتفاظ فرنسا بمركز قوي في الجزائر لحماية أمن الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، وتصرف نظر فرنسا واهتماماتها بأوروبا الشرقية ومنطقة البلقان (محط أنظار روسيا)، كما أملت أن تحظى بدعم فرنسا لأطماعها في الدولة العثمانية، وتهديد المصالح البريطانية في البحر المتوسط.

بروسيا:

أيّدت بروسيا الحملة الفرنسية على الجزائر كبقية الدول الأوروبية لتُضعف موقفها في أوروبا ويفسح لها المجال لفرض سيطرتها في المنطقة، خاصة إذا علمنا أن منطقة الراين كانت سببا في الحروب بين فرنسا وبروسيا[191].

[191]– أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر..، **مرجع سابق**، ص 139.

اسبانيا:

في البداية تحفظت الحكومة الاسبانية من العدوان الفرنسي على الجزائر لعدة أسباب منها ما تعلق الأمر بتعاونها مع محمد علي باشا في اتفاق سري، ولاعتقاد بعض أوساطها السياسية والعسكرية بأحقيتها في احتلال القطاع الوهراني، نظرا لتواجدها السابق بوهران والمرسى الكبير لما يقرب من ثلاثة قرون، ولارتباطها باتفاقية تجارية مفيدة مع الجزائر، وحرصها على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع بريطانيا، لكن سرعان ما غيّرت من موقفها لما قررت فرنسا غزو الجزائر والتخلي عن مشروع محمد علي وفي سياق مناصرة الرأي العام الأوروبي لعملية الغزو بالسماح للحملة الفرنسية بالتوقف بجزر الباليار للتموين وإقامة مستشفيات بميناء ماهون Mahon الذي كان بمثابة محطة مهمة للجيش الفرنسي، واستئجار عدد من سفن الشحن الاسبانية، كما دعّمت وجنّدت الحكومة الاسبانية ضباط وخبراء وفرق عسكرية في خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر[192].

النمسا:

اضطرت إلى التأييد بعدما كانت في الصف البريطاني المعارض الوحيد، حيث كان مستشارها مترنيخ يميل إلى موقف بريطانيا، وفي ذات الوقت كان يميل وحكومته إلى تحويل اهتمام فرنسا إلى التوسع خارج أوروبا، وأكّده فريدريك الثالث لتحويل أنظار فرنسا على منطقتي الراين وبلجيكا لإبقاء أوضاع أوروبا على حاله، كما عليها مجاراة حليفتها روسيا وبروسيا في تأييد الخطوة الفرنسية، فقبلت النمسا بالأمر الواقع وعرضت خدماتها من ضباط وخبراء وجنود لإعانة فرنسا في غزوها للجزائر[193].

---

[192]– **نفسه**، ص 138.

[193]– أرزقي شويتام، **نفس المرجع**، ص 139.

بريطانيا:

عارضت الاحتلال الفرنسي للجزائر لأنها رأت في ذلك تهديدا لتفوقها ومصالحها في البحر الأبيض المتوسط، وأعلنت أنها لن تسمح بأكثر من عملية قصف لتأديب الداي حسين، ولكن بريطانيا لم تستطيع ترجمة هذا الموقف عمليا، لأنها لم تكن تتمتع بما تمتعت بع فرنسا من مزايا إقتصادية في الجزائر.

حيث امتنعت عن القيام بأي عمل لإعاقة الغزو أو إجبار فرنسا على الانسحاب لتوقعها انهزام الفرنسيين في الجزائر، ورهان بعض ساستها على أن فرنسا متى تورطت وغدت مهددة بالهزيمة، ستلتمس من بريطانيا التدخل لمساعدتها، وعندها تصبح بريطانيا سيدة الموقف، وكذا لعدم وجود نية لدى حكومتها بخوض حرب ضد فرنسا بسبب الجزائر.

الدويلات الإيطالية:

وافقت الدويلات الإيطالية (صقليا، جنوة، نابولي، بيدمونت، سردينيا...) على الاحتلال الفرنسي للجزائر وسارعت إلى مباركة الملك شارل العاشر باعتبار الغزو خدمة للمسيحية، فملك سردينيا شارل فليكس Charles Felix كان يريد التخلص من الجزية السنوية التي كان يدفعها إلى الجزائر، كما اقترح ضم الجزائر إلى فرسان القديس يوحنا، وأما حكومة إمارة بيدمونت ساعدت فرنسا بتزويدها بمعلومات إضافية عن الجزائر من خلال قنصلها بالجزائر، كما سمح البابا بيونس الثامن Pie VIII للحكومة الفرنسية باستخدام موانئ بلاده، وأما ملك نابولي فرانسوا الأول Francois 1er رخّص للتجار أن يؤجروا سفنهم للجيش الفرنسي[194].

الدول الاسكندنافية:

أيدّت الدول الاسكندنافية كالسويد والنرويج والدنمارك كباقي الدول الأوروبية الحملة بعد المساعي الدبلوماسية المبذولة[195].

---

[194]- شارل أندري جوليان، **مرجع سابق**، ص 76.

[195]– **نفسه**، ص 75.

الولايات المتحدة الأمريكية:

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الاحتلال الفرنسي للجزائر كان واضحا من خلال صدور كتاب للقنصل الأمريكي بالجزائر وليام شالر في 1826م، الذي أوصى فرنسا باستعمار الجزائر وللقضاء على قوة البحرية العثمانية في الجزائر وسيطرتها على حوض البحر الأبيض المتوسط، ثم جاء بعده القنصل هنري لي Henry Lee 1829-1830 الذي قدّم تقريرا مفصلا عن الغزو الفرنسي للجزائر بعد عشرة أيام من الاحتلال، من عملية إنزال جيش الاحتلال بسيدي فرج إلى سقوط مدينة الجزائر[196].

روى جول كامبون Jules Cambon الذي حكم الجزائر بين (1891-1897م) أن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت قد عبر له عن امتنان أمريكا لقضاء فرنسا على القرصنة في الجزائر سنة 1830م، لأن الفرنسيين هم الذين خلصوا أمريكا مما لا يليق بها وهو دفع إتاوات إلى قراصنة الجزائر لحماية تجارتها، ونسب كامبون إلى روزفلت أنه قال له: " إنكم بالقضاء على هؤلاء القراصنة قد خدمتم كل الأمم المتحضرة"[197].

2- على المستوى المغرب العربي :

وقفت الدول المغاربية من احتلال الجزائر موقفا بين مؤيد ومعارض تمثلت في:

تونس:

أيّدت تونس الاحتلال الفرنسي في عهد حسين باي الثاني (1824- 1835م) لعدة اعتبارات منها انتقاما من دايات الجزائر الذين كانوا يعتبرون تونس تابعة لهم، أطماع حسين باي التوسعية لضم إقليم قسنطينة، وتخوّف الباي من الأطماع الفرنسية التوسعية، ولم يكن حسين باي يدرك أبعاد هذه الحملة العسكرية وكان موقفه من النزاع الفرنسي الجزائري سلبيا، معتقدا أن فرنسا قادمة لتأديب داي الجزائر ثم تعود، والحقيقة أن فرنسا حذرت حسين باي

[196]- علي تابليت، **العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776- 1830**، ج2، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، ص ص 307- 316.

[197]- أبو القاسم سعد الله، **مرجع سابق**، ص 17.

وهددته في حال عدم خضوعه، ولهذا لم يكتف بالوقوف على الحياد تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر بل أرسل وفدا إلى القيادة العسكرية لتقديم تهانيه للقائد الفرنسي دوبرمون[198].

وبعد تولي الجنرال كلوزال قيادة القوات الفرنسية في سبتمبر 1830 قدّم الجنرال كلوزال للباي عرضا مغريا، وعده بإنشاء إمارتين بوهران وقسنطينة تحت حمايته، ويقوم بتنصيب أحد أفراده حاكما على إقليم وهران مقابل دفع مليون فرنك سنويا إلى الحكومة الفرنسية، وهو السبب الذي كان وراء هذا الموقف السلبي، فأبرم كلوزال Clauzel مع باي تونس اتفاقية في 18 أكتوبر 1830م[199].

وعلى ضوء هذا الاتفاق أرسل باي تونس الأغا خير الدين نائبا عنه إلى وهران في 4 فيفري 1831 مع فرقة عسكرية ساندته الحامية العثمانية ب 400 جندي وبعض الكراغلة من مستغانم ووهران وتلمسان، إلا أن الأوضاع لم تساعده في توطيد سلطته، لوجود أتباع الباي حسن الذين طلبوا منه الرحيل وعدم تمكنه من دعم حلفاءه بالأموال لكسب ثقتهم مع قلة المؤونة، وهو ما دفع خير الدين بتسيير حملة عسكرية في أفريل 1831 باتجاه مستغانم فاستولت على أربعة آلاف رأس من الماشية مما أدى نقمة معظم سكان المدينة، إضافة إلى هذا لم توافق الحكومة الفرنسية على الاتفاقية التي عقدها كلوزال مع باي تونس فأمرت بفض المعاهدة وتم تعيين الجنرال برتزان مكانه وترحيل التوانسة من منطقة وهران[200].

المغرب الأقصى:

انقسم المغرب الأقصى إلى قسمين، فالسلطان عبد الرحمن بن هشام التزم التحفظ والصمت والحياد من الاحتلال، رغم علمه بنوايا فرنسا في احتلال الجزائر، وكان الداي حسين قد طلب من السلطان مساعدته في طرد الفرنسيين عندما علم بنواياهم، وبقي على موقفه الحيادي ينتظر ما تنتج عنه الحملة الفرنسية، وقد علمت السلطة المغربية

---

[198]– حميدة عميراوي، **علاقات باليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص 65، 66.

[199]– للاطلاع على نص الاتفاقية ينظر، حمدان خوجة، **مصدر سابق**، ص ص 231، 236.

[200]– عبد الجليل التميمي، مغامرة الحماية التونسية على وهران، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 05، تونس، 1976، ص ص 12، 19.

بسقوط مدينة الجزائر تحت حكم الاحتلال الفرنسي في 13 جويلية 1830 عن طريق مراسلها بجبل طارق القنصل بن عليل الذي أرسل بدوره إلى عاهل مدينة تطوان محمد أشعاع يخبره ما حدث في الجزائر، فأخبر هذا الأخير السلطان عبد الرحمن في تقرير مفصل حول الوضع في الجزائر[201].

ولما تغيرت الأوضاع تغيّر موقف السلطان خاصة بعد شروع فرنسا في التوسع نحو الغرب، لذا أقدم على مساعدة الجزائريين، وأما موقف الشعب المغربي فإنه وقف منذ الوهلة الأولى من الاحتلال مع الجزائر، كتب نائب فرنسي يصف موقف الشعب المغربي بقوله:" كان لنبأ سقوط مدينة الجزائر أبعد الأثر على نفوس المغاربة..."[202]، بحيث أثار احتلال الجزائر خيبة أمل في أوساط المغاربة لما كان له من انعكاسات سياسية ودينية.

طرابلس الغرب:

وقف يوسف بن علي باشا باي طرابلس الغرب إلى جانب الداي حسين منذ أن اشتدت الأزمة بين الجزائر وفرنسا، وقد تبادلا رسائل للاستفسار عن مشروع محمد علي باشا لاحتلال الأقطار المغاربية (طرابلس الغرب، تونس والجزائر) باقتراح من فرنسا، واعتذر يوسف باشا للداي حسين بعدم قدرته على مساعدته في حربه ضد فرنسا لنقص الإمكانيات واكتفى بتشجيعه على الصمود، وفي رسالة من باي طرابلس إلى الداي حسين في 7 ماي 1830م عبّر عن أسفه وضيق خاطره بما سمعه بأن الفرنسيين مقبلين على احتلال الجزائر، ولم يستطع مساعدته ماديا وما عساه فعله إلا الدعوات في الصلوات[203].

---

[201]– عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج 09، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988، ص 9.

[202]– إسماعيل حامت، **الحكومة المغربية واحتلال الجزائر**، منشورات ثالة، الجزائر، 2011، ص 40، 41.

[203]– عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1900**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 46.

إن الموقف المعادي لاحتلال الجزائر اتخذته فرنسا ذريعة لمعاقبة باي طرابلس، فأرسلت أسطولا في 9 أوت 1830 وتم توقيع معاهدة عدم التدخل في شؤون الغير[204]، وعليه أرجع الباحثين أسباب عدم قدرة طرابلس على تقديم المساعدات للجزائر إلى تلك الصعوبات التي اعترضت الباي يوسف منها الثورات في بعض الأقاليم نتيجة سياسة الضرائب التي أثقلت كاهل السكان، وتهديدات الأساطيل الأوروبية التي تمكنت من تحرير الأسرى سنة 1819م.

3- موقف الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية تتبع تطورات الأزمة في العلاقات الفرنسية الجزائرية، ولما رأت أن الخلاف زاد عن حدّه اكتفى موقفها بإرسال مبعوث والمتمثل في خليل أفندي وطاهر باشا للتوسط بين الجزائر وفرنسا لحل النزاع وذلك قبيل الغزو، لكن هذه المساعي الدبلوماسية لم تحقق شيئا بسبب تشدّد الداي حسين وتماطل فرنسا.

في البداية أُرسل خليل أفندي إلى الجزائر وقام بمباحثات مع فرنسا، إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى حل في الوقت الذي كانت فرنسا عن طريق سفيرها في اسطنبول الكونت قييومينو Comte Guillomenot يقوم باتصالات مع الباب العالي من أجل الحصول على موافقة قيام محمد علي باشا مصر بحملة ضد طرابلس وتونس والجزائر، إلا أن جواب الباب العالي كان صارما بالرفض[205].

ولإيجاد تسوية للأزمة أوفدت الدولة العثمانية طاهر باشا في شهر مارس 1830م إلى الجزائر، وزودته بتعليمات محددة، إلا أن القائد الفرنسي دوكليرفال De Clairval المكلف بالحصار منع طاهر باشا من الدخول إلى مدينة الجزائر، ولما فشل في مهمته اتجه إلى طولون وفي طريقه التقى بالأسطول الفرنسي المتوجه إلى الجزائر، ولما وصل إلى طولون

---

[204]- أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519- 1830**، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص ص 131، 133.

[205]- ارجمنت كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص ص 39-45.

حاول الاتصال بالملك شارل العاشر، لكن السلطات الفرنسية رفضت الاعتراف به كمبعوث رسمي للباب العالي وحاولت عرقلته.

لم تكتف الدولة العثمانية بذلك، بل حاولت التباحث مع السفير الانجليزي في اسطنبول لإيجاد حل لتسوية الخلاف، إلا أن موقفها كان سلبياً، هذا الموقف الذي ندّد به المؤرخ جمال قنان بتخاذل الدولة العثمانية من الهجمات الأوروبية والفرنسية خصوصا التي تعرضت لها الجزائر خلال القرنين 17م و18م وأثناء الأزمة الجزائرية الفرنسية بين 1827- 1830م التي لم تقدم لها المساعدة والدعم، زيادة على ذلك حاولت إحداث حالة من عدم الاستقرار من خلال التخطيط لاغتيال الداي حسين والذي كان أحد أهداف بعثة طاهر باشا[206].

ورغم فشل المساعي الدبلوماسية، بقيت ترسل المساعدات العسكرية إلى أحمد باي قسنطينة بطلب منه، وهكذا انتهت كل المحاولات العثمانية لاسترجاع الجزائر خاصة بعد سقوط قسنطينة سنة 1837[207].

[206]- جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المجلد الأول، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 283.

[207]- ارجمنت كوران، **مرجع سابق**، ص ص 62، 63.

خـــاتمة:

تعد الحملة الفرنسية على الجزائر الحلقة الأخيرة من المشاريع التي أعدتها فرنسا خلال مراحل سابقة، ولم تكن مجرد محاولة احتلال عشوائية بل كانت بعد تخطيط محكم امتد على مدار ثلاثمائة سنة، لما للجزائر من موقع استراتيجي هام في غرب البحر الأبيض المتوسط وبوابة إفريقية، استغلت فرنسا الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية الإقليمية والدولية، وعملت في إطار مشروعها الاستعماري في وضع مخططات عسكرية توّجت بالاحتلال في 5 جويلية 1830 بدون مقاومة تذكر وذلك راجع لعدم الاستعداد والتخطيط التي وقعت فيه القيادة الجزائرية مع ضعف القدرات العسكرية وسوء تقدير الحكام للعواقب، فكان التوقيع على معاهدة الاستسلام نهاية فترة الحكم العثماني وبداية لمرحلة جديدة في تاريخ الجزائر.

كما تمخضت عن الحملة الفرنسية على الجزائر ميلاد شعور بالمقاومة الوطنية بمجرد إدراك الجزائريين بخطورة الأوضاع ونوايا فرنسا في تحقيق مشروعها الاستعماري وهو الاحتلال الاستيطاني، قاد النضال السياسي أعيان مدينة الجزائر وكونوا لجنة المغاربة أمثال حمدان خوجة الذي حاول الدفاع عن شرف الجزائر لكن دون جدوى، وأما المقاومة العسكرية انطلقت بعد اجتماع تمنفوست في 25 جويلية 1830 لإعلان الجهاد ضد الغزاة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1- بفايفر سيمون، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر: أبو العيد دودو، المجلد الأول، ط.خ، دار الأمة، الجزائر، 2009.

2- بيان بيار، **سطو على مدينة الجزائر تحقيق في عملية نهب جويلية 1830**، منشورات الشهاب، 2013.

3- الجزائري أحمد، **كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان**، تقديم : صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1962.

4- خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط.خ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

5- ساحلي محمد الشريف، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد هناد، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002.

6- العقيد فرنال. م، **حملة إفريقية 1830**، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014.

7- **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق وتقديم: أحمد توفيق المدني، طبعة خاصة، المجلد السابع، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

8- **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824م**، تعليق وتعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

2- المراجع:

1- بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830- 1871**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977، ص 17.

2- بنور فريد، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782- 1830**، دار الواحة للكتاب، 2009.

3- بن صحراوي كمال، **دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية**، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

4- بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

5- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية** 1962 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

6- بوعزيز يحي، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500- 1830م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

7- تابليت علي، **العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776- 1830**، ج2، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.

8- تابليت علي، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1619- 1830**، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2013.

9- تابليت علي، **معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1619- 1830**، ج2، منشورات ثالة، الجزائر، 1913.

10- التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج 09، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988.

11- جوليان شارل أندري، **تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار 1827- 1871**، المجلد 1، دار الأمة، الجزائر، 2013.

12- حامت إسماعيل، **الحكومة المغربية واحتلال الجزائر**، منشورات ثالة، الجزائر، 2011.

13- عميراوي حميدة، **علاقات باليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002.

14- حمداني عمار، **حقيقة غزو الجزائر**، تر : لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

15- داون جورج، **مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829- 1830**، تر: عثمان مصطفى عثمان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2010.

16- زهرة زكية، **التنافس الفرنسي الانكليزي على الجزائر ومواقف الباب العالي منه 1792- 1830**، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

17- الزبيري محمد العربي، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

18- زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1900**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

19- سعدي عثمان، **الجزائر في التاريخ**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2011.

20- سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

21- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

22- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

23- سعد الله أبو القاسم، **خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830- 1962**، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

24- سعيدوني ناصر الدين، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

25- سعيدوني ناصر الدين، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

26- سعيدوني ناصر الدين، **عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر**، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

27- سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

28- شويتام أرزقي، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

29- شويتام أرزقي، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519- 1830**، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.

30- شويتام أرزقي وآخرون، **المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، ط.خ، م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الآمال للطباعة والنشر، الجزائر، 2016.

31- عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830- 1850**، دار الهدى، الجزائر، 2012.

32- غربي الغالي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد**، ط.خ، م.م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، 2007.

33- فاقلييري لورا فيشيا، **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة**، تقديم: ايمانويل باتاي، تر: حميد عبد القادر، عالم الأفكار، الجزائر، 2013.

34- قنان جمال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، مج 2، ط خ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

35- قنان جمال، **دراسات في التاريخ المعاصر**، مج 6، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

36- قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مج 4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

37- قنان جمال، **دراسات في المقاومة والاستعمار**، مج4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

38- **دراسات تاريخية مهداة إلى المجاهد المؤرخ جمال قنان**، تنسيق وتقديم : جمال قندل، ط1، بن حمدة للطباعة والنشر، الشلف، 2019.

39- قداش محفوظ، **جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830- 1954**، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.

40- كوران ارجمنت، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.

41- المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791**، ط.خ، المجلد 7، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

42- المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792**، المجلد 5، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

43- محرز عفرون، **آل روتشليد وآل بكري وتاليران الملفات السياسية السرية في تاريخ الشعوب، إضاءات حول تاريخ فرنسا الحقيقي في الفترة من 1789 إلى 1830 واستعمار الجزائر**، تر: مسعود حاد مسعود، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

44- محرز عفرون، **مذكرات من وراء القبور وقائع مأساة مبيتة**، تر: الحاج مسعود مسعود،ج1، ط.خ، دار هومه، الجزائر، 2008.

45- محمد محمود باشا، **الاستيلاء على إيالة الجزائر**، تر: عزيز نعمان، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2012.

46- مياسي إبراهيم، **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830- 1962**، دار هومه، الجزائر، 2007.

47- نايت بلقاسم مولود قاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2008.

48- نايت بلقاسم مولود قاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج2، دار الأمة، الجزائر، 2008.

49- هلال عمار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830- 1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

3- الرسائل الجامعية:

1- بوقرة فريدة، **العلاقات الجزائرية التونسية في عهد الأسرة الحسينية 1705- 1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2018- 2019.

2- حماش خليفة، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي 1798 – 1830م**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الاداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة الاسكندرية، مصر، 1987-1988، ص 211.

3- عبد الحفيظ مشطري، **الجزائر العثمانية 1800- 1830 دراسة في تطوراتها السياسية وعلاقتها الخارجية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة قالمة، 2014- 2015.

4- المقالات العلمية:

1- بوعبد الله جخدان، المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814- 1818 " مؤتمر إكس لا شابل 1818، **مجلة عصور**، العدد 34-35، أفريل- جوان 2017.

2- بوذراع أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 دراسة عسكرية، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، العدد 3، المجلد 4، جويلية 2022.

3- التميمي عبد الجليل، مغامرة الحماية التونسية على وهران، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 05، تونس، 1976.

4- حماش خلفية، قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أوسطه والي 19 جوان 1830، **مجلة المعالم**، العدد 16، نوفمبر 2014.

5- زهرة محجوبي، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر 1741- 1830م، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، العدد 1، المجلد 2، جانفي 2020.

6- زهرة زكية، الأميرال سدناي سميث والتحالف الأوروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814، **مجلة الدراسات التاريخية**، العددان 15-16، السنة 2013م.

7- رجاني سالمي عبد الهادي، حرب 1769- 1772م بين الجزائر ومملكة الدانمارك- النرويج من خلال مصدرين: نيلس موص وابن رقية التلمساني، **مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، المجلد 3، العدد 2، جويلية 2021.

8- سعيدوني ناصر الدين، الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827- 1830، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد5، 1979.

فهرس المحتوى

مقدمة:.....2

المحاضرة الأولى: أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.....3

المحاضرة الثانية: أوضاع الجزائر قبل الاحتلال (تابع).....13

المحاضرة الثالثة: العلاقات الجزائرية الفرنسية.....21

المحاضرة الرابعة: المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر.....28

المحاضرة الخامسة: المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(تابع).....37

المحاضرة السادسة: دوافع وأسباب الاحتـــلال الفرنسي للجزائر.....47

المحاضرة السابعة: مراحل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م.....57

المحاضرة الثامنة: الاستعداد الفرنسي للحملة على الجزائر.....65

المحاضرة التاسعة: بداية الاحتلال وسقوط العاصمة الجزائرية.....72

المحاضرة العاشرة: تداعيات الحملة الفرنسية على الجزائر.....81

المحاضرة الحادية عشر: المواقف الدولية من احتلال الجزائر.....87

خاتمة:.....95

قائمة المصادر والمراجع:.....96

فهرس المحتوى:.....103

جامعة يحيى فارس بالمدية
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية